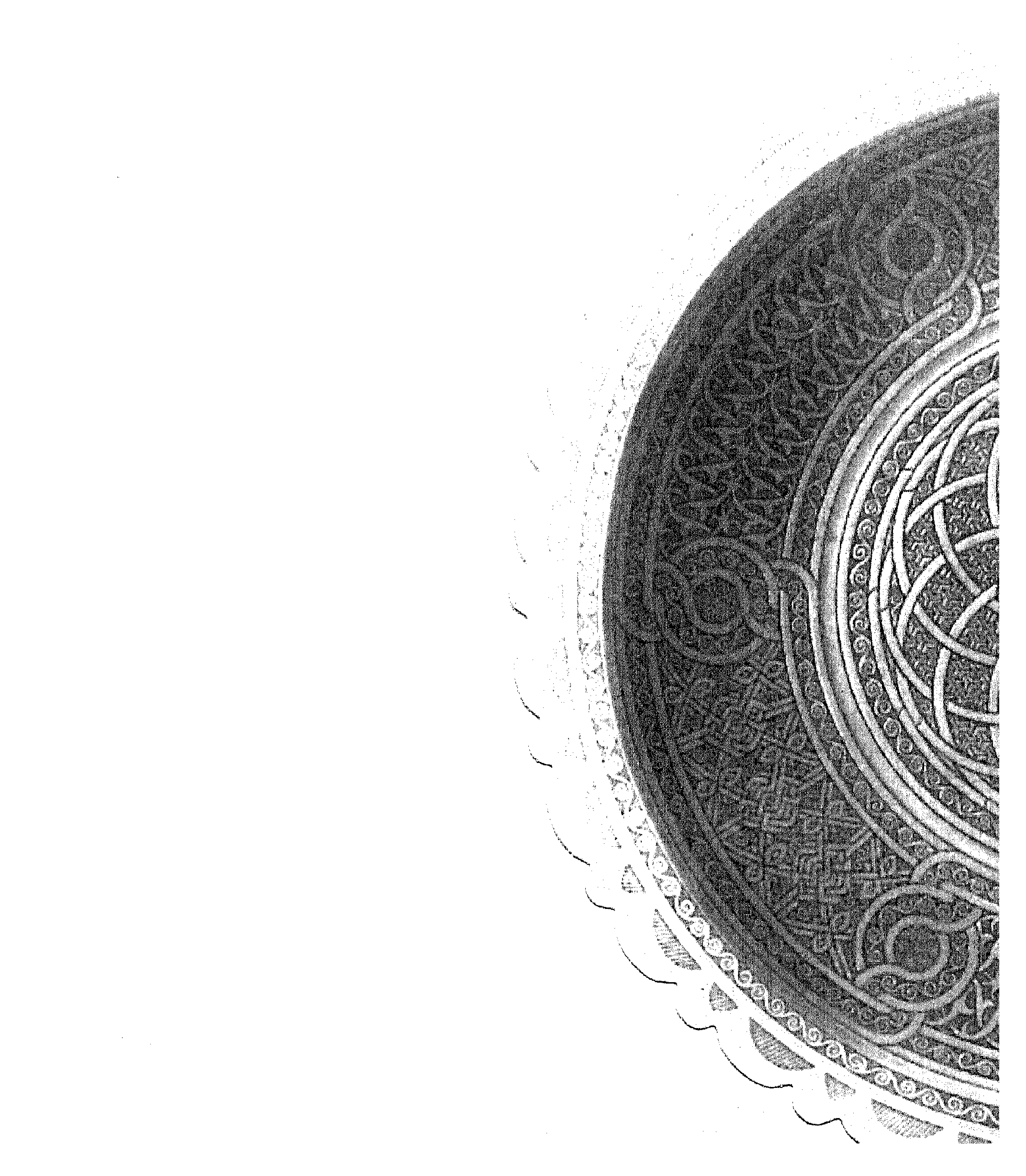
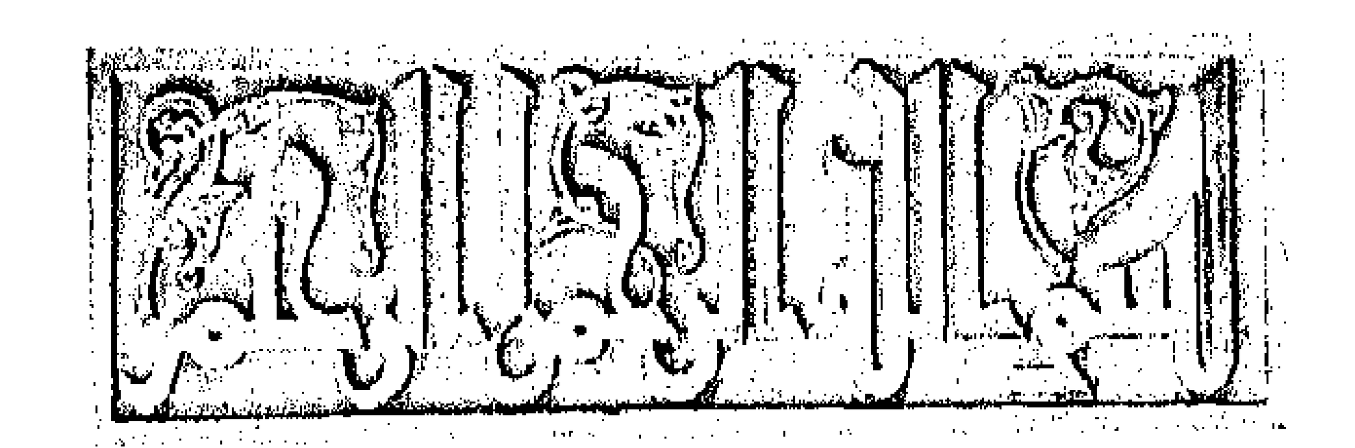

مراقد مصر المقدسة
آل البيت في المحروسة



مراقد مصر المقدسة

آل البيت في المحروسة

وزارة السياحة



مراقد مصر المقدسة

آل البيت في المحروسة

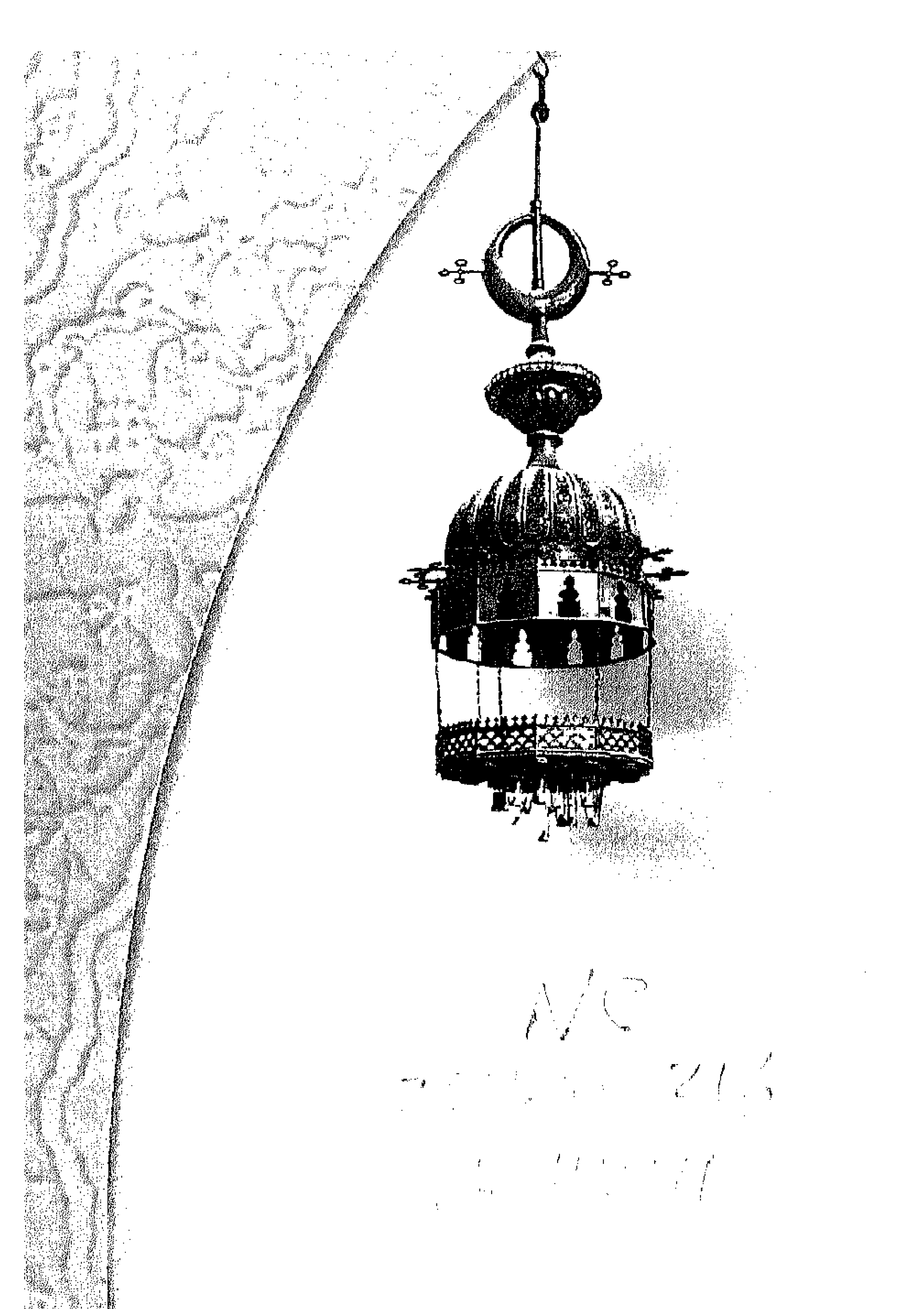
نص: جمال الغيطانى

مراجعة: السيد محرز خليفة

التجهيزات الفنية والطباعة
الشركة المتحدة للطباعة والنشر والتوزيع
المطبعة الأمنية

وزارة السياحة

١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م



كلمة وزير السياحة

آل البيت فى أرض الكنانة

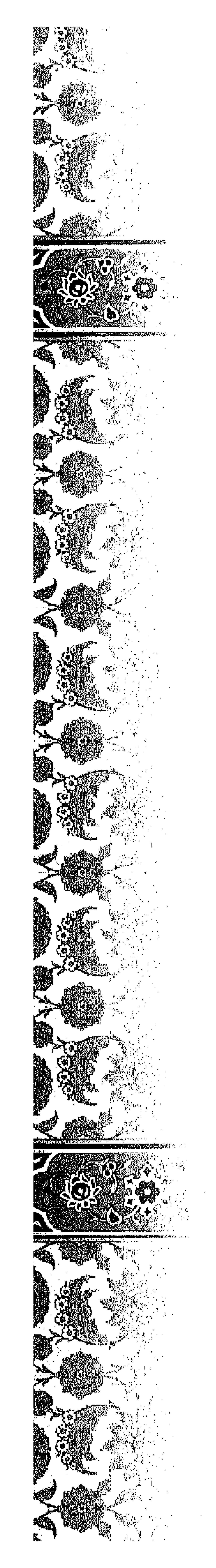
تعيش مصر مرحلة زاهية من تاريخها السياحى فى عصر مبارك ... فقيادة مصر السياسية تعى أن السياحة هى المستقبل وتؤمن بأن تنمية السياحة يجب أن تكون توجهاً استراتيجياً للمجتمع المصرى كله .

وأهم ما يميز صناعة السياحة المصرية أنها شهدت خلال العقدين الأخيرين نهضة جعلت منها مصدرا رئيسيا لفرص العمل والدخل بالعملات الأجنبية ، وركيزة هامة لتحقيق التوازن الاقتصادى والعمرانى ، وأداة فعالة للتبادل الثقافى ونشر المحبة والسلام بين الشعوب .. دعماً لدور مصر الفعال فى هذا المجال .

كان الاهتمام بإحياء موروثات مصر التاريخية والحضارية والدينية أحد مفاتيح تلك النهضة السياحية . وفى هذا السياق احتفت السياحة المصرية قبل أربع سنوات بدخول العالم الألفية الثالثة بإحياء " مسار العائلة المقدسة " فى مصر ، وأصدرت وزارة السياحة المصرية - آنذاك - كتيباً يشرح مراحل ذلك المسار ومغزاه. كما نظمت احتفالية فنية فى تلك المناسبة .

والآن .. تبدأ وزارة السياحة المصرية إحياء مسار دينى آخر ... " مسار آل البيت " الكائن فى أحد أحياء القاهرة العريقة ، والذى تنتظم على جنباته مراقد مقدسة لآل البيت. هذا الكتيب الجديد يعيد الى الذاكرة رحلة بعض رموز آل بيت النبوة الكرام وهم يلوذون بمصر طلباً للسكينة والأمن ... تماماً مثلما فعلت " العائلة المقدسة " قبل ما يزيد على ألفى عام .

وقد كانت مصر وشعبها بمثابة المقصد والموعد للجميع .



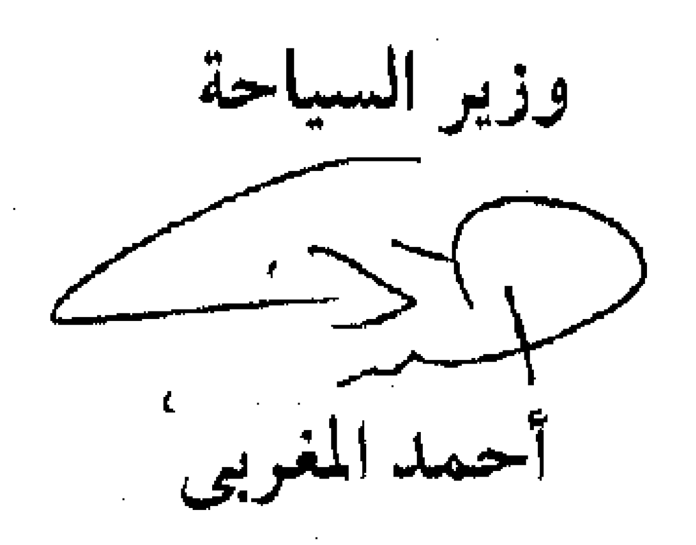
ويقترن إصدار هذا الكتيب - الذى ستصدر منه طبعات مترجمة لاحقاً - بجهد جاد يتم بالتنسيق مع وزارة الثقافة والأجهزة المحلية المعنية ، لإعادة تخطيط وتجميل مسار آل البيت فى حى السيدة زينب بالقاهرة ، والارتقاء بالظروف البيئية، والسمات المعمارية للآثار الموجودة هناك بحيث يكون المسار أحد المزارات السياحية التى تمتاز بسهولة الوصول إليها وتوافر الخدمات بها .

ومع ذلك ، فإن هذا الكتيب ليس مجرد أداة لجذب المزيد من الوافدين بغرض السياحة الدينية ، ولكنه يحمل - الى جانب ذلك- جوهر رسالة مصر الى العالم عبر العصور . وهى رسالة الإقبال على الدين باعتدال وتسامح ، وعلى الدنيا بتفتح ، واحترام للآخر ، وبرغبة صادقة فى المعرفة، التى تُشيع السلام والوئام بين الشعوب ("وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا...") .

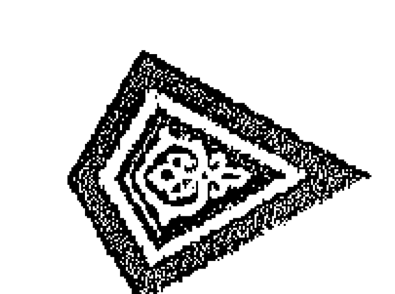
كانت مصر ولا تزال صَدراً رَحباً لجميع زائريها ، وستبقى شواهدها الحضارية والتاريخية - وأهم من كل ذلك - شعبها الودود المضياف ... عناصر جذب مستمر لمزيد من الزائرين .

والله الموفق،،،

وزير السياحة



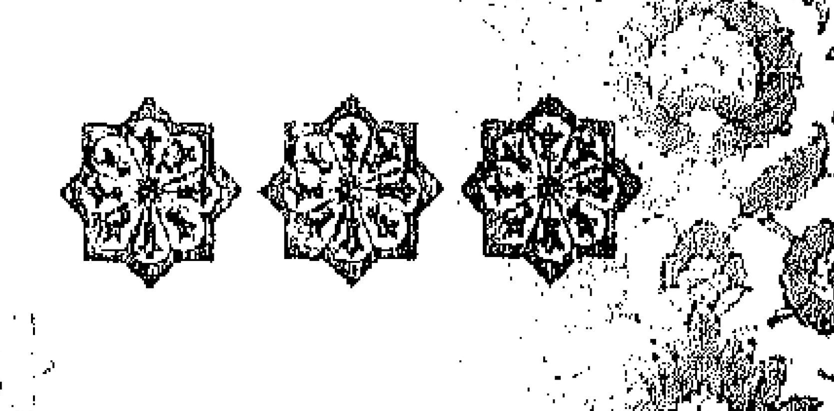
أحمد المغربى

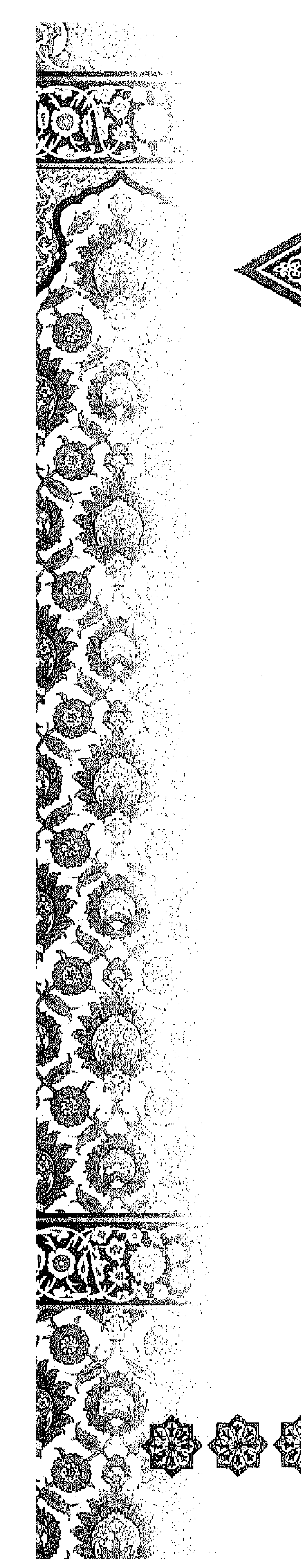


منذُ قدوم السيدة زينبَ إلى مصرَ، احتَضَنَ المصريون أغصان الدوحة الطاهرةِ من آل بيتِ الرسولِ عليه الصلاةُ والسلامُ، تعلقوا بهم وهم أحياءُ بينهم. وحفظوا سيرتَهم بعد رحيلِهم، وأضفوا مكنونَهم الثقافي والروحي على صفاتهم، واقتدوا بهم وأطلقوا أسماءهم على الأبناء والأحفاد ، والصفات أيضاً، نسمع أسماء في مصر يندُر وجودُها في بلادٍ أخرى مثل "نبوى" للمذكر، و"نبوية" للمؤنث، أما "حسن" و"حسين" و "زينب" و"نفسية" و "رقية" و"سكينة" و "عائشة" و"زين العابدين" من أكثر الأسماء شيوعاً في مصر، وطبعاً من قبل ومن بعد "محمدٌ"و"أحمدُ" ولو أن إحصاءً دقيقاً أجُرِيَ سنجدُ أن أكثرَ من ثلاثة أرباعِ المصريين تدور أسماؤهم بين محمدٍ وأحمدَ، والبقية تحملُ أسماءَ الدوحةِ الطاهرةِ.

من دخلَ مصرَ بجسده له ضريحٌ ومزارٌ في المكان، وفي الزمان وموعد يتجدد كل عام، يتم الاحتفال فيه بذكرى مولد كل منهم، وأسبوعياً لكل منهم حضرة، والحضرة لحظة نادرة، مكثفة عند القوم، يتم خلالها استحضار معنوى وروحي لشخصِ الحبيب الراحلِ، بحيث يردد كلُ إنسانٍ الأوراد والأذكار فيتمثل الغائب الذى يتحقق حضورَه أسبوعياً بكل ما يعنيه من قيم.

- لمولانا وسيدِنا **"الحسين"** حضرة يوم الجمعة صباحاً..
- لمولانا وسيدِنا **"على زين العابدين"** حضرة مساء السبت..
- للسيدة **"نفيسة"** حضرة مساء الأحد..
- للسيدة **"فاطمة"** النبوية حضرة مساء الإثنين..
- للسيدة **"زينب"** بنت على بن أبى طالب حضرة مساء الثلاثاء..
- للسيدة **"سكينة"** حضرة مساء الأربعاء..
- للسيدة **"نفيسة"** حضرة أخرى مساء الخميس..

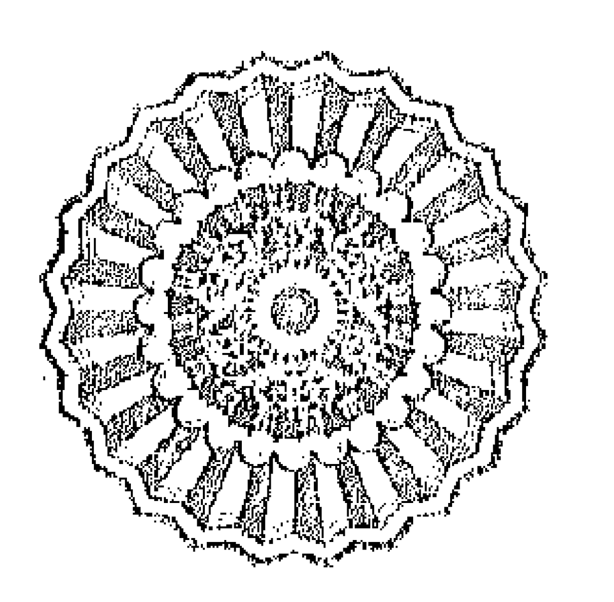




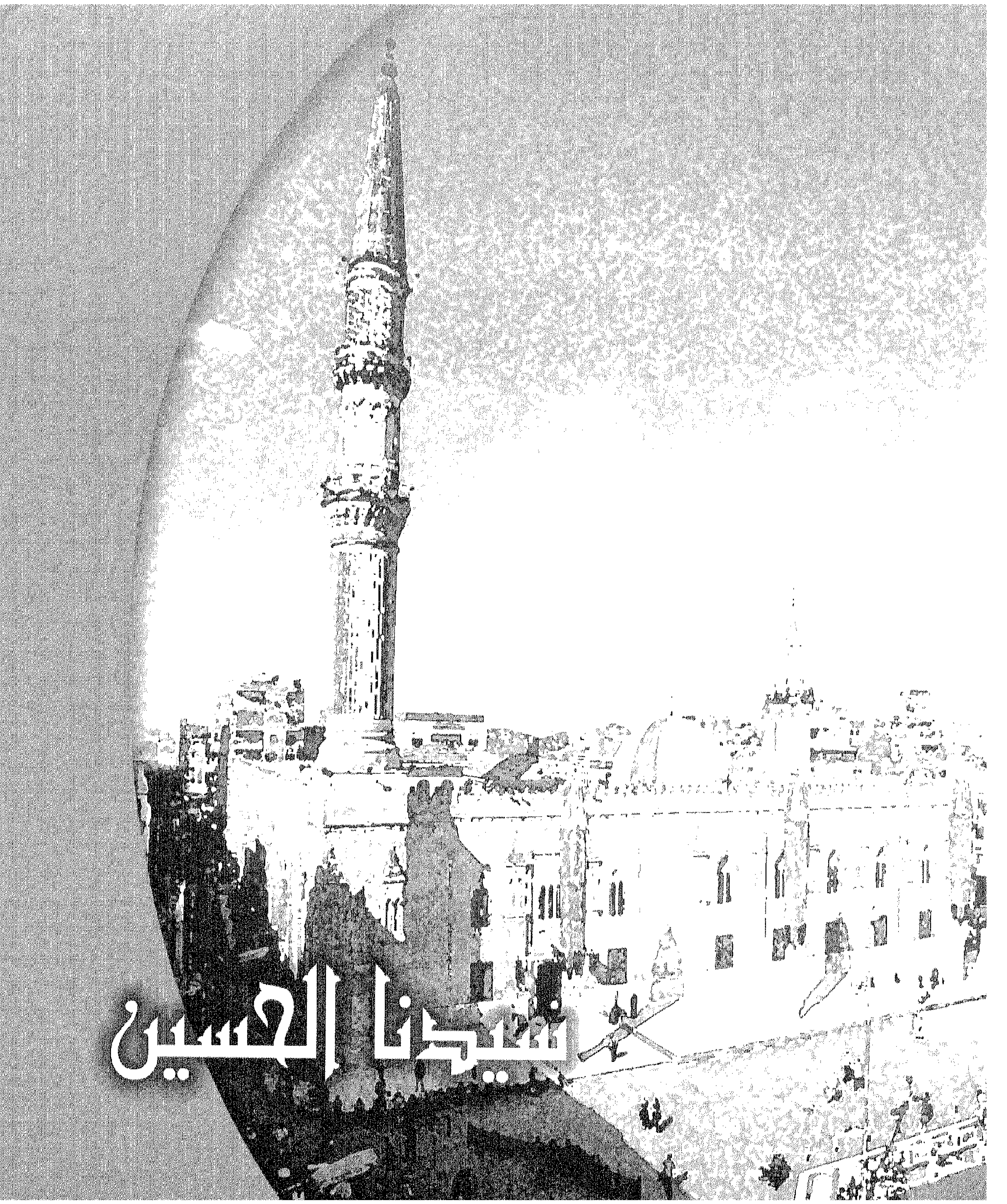
ومن لم يدخلْ مصرَ بجسده، أقُيمَ لـه مرقدٌ رمزى فى المكان. هكذا، لحضور أهل البيت مـقامًا قـويًا، مشعًـا، فى القلوب، الذين دخلوا مصـرَ وأقاموا بهـا، ورقدوا فى ترابهـا بطُهرِهم، لهم أضـرحة مشـهورة، ويعـتبـرُها المصريون مـقَصداً ومـلاذاً لهم، وتُنسب إليهم مناطق شاسعة من القاهرة، فـعندما يقول المصريون "سيدنا الحسين" أو "السيـدة نفيـسة" أو "السيـدة سكينة" فإن ذلك يعنى المرقـد، والمنطقة التى يوجـد بها أيضاً، فالقاهرة موزعة على آل البيت، وآل البيت أركانها.

المنطقة التى تتركز بهـا المراقد المقدسة، تقع جنوب القاهرة، تبدأ من مـرقد السيدة زينب "رضى اللّه عنها"، وتمتـد إلى مرقد السيدة نفـيسة، والسيـدة عائشة "رَضِىَ اللّهُ عنهما". هذه المنطقة خصوصاً على امـتداد شارع الأشرف، من أعرق أجزاء القاهرة، ويمنحها بعـداً روحياً وخصوصيـة، يحفل بالعديد من الآثار الإسلامية الهـامة، منها: أقدم مساجد مصر عمارة وأحد أجـمل المساجد فى العالم، مسجد أحمد بن طولون، وسبيلُ أمِ عـباسِ، ومسجدُ الأميـر صرغمتش، وخانقـاه شيخون ومسجـدُه، وسبيلُ قايتباى، وبيتُ الكريدلية.

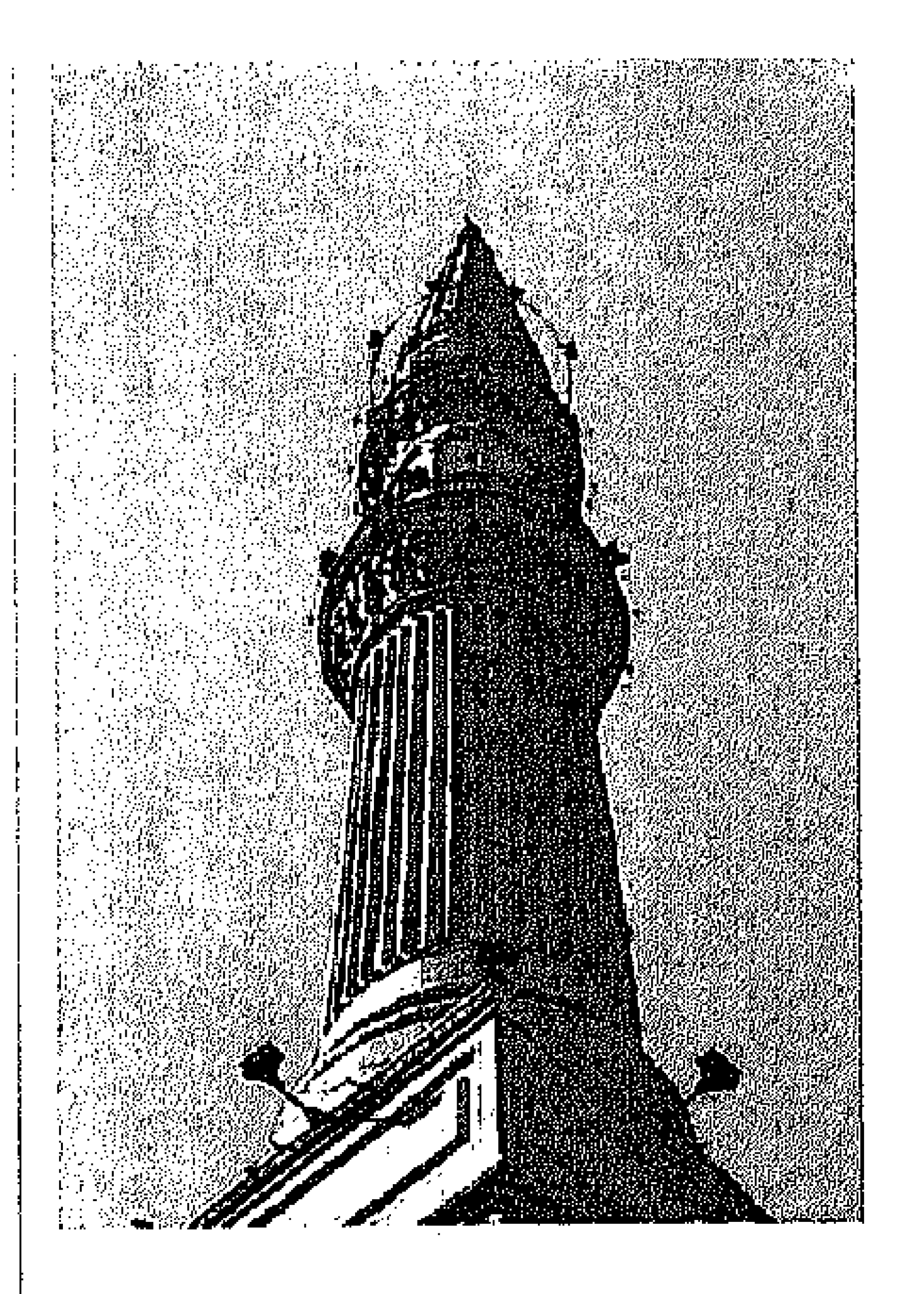
أينما ولَّى الإنـسانُ وجهَـه لابد أن يرى مئذنـةً، أو قُبةً، أو آيةً قـرآنيةً كُـتبَتْ على جدار مسجد أو واجهة سبيلٍ، أما البشرُ هنا فهم عِطرُ المكانِ كلهُّم يتعلقون بآلِ البيت يتبركـونَ بهِّم، ويسعَوْن إلىَ مراقدهـم، ويحلمـونَ باليوم الذى يسعون فيـه إلىَ مرقد الحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم.

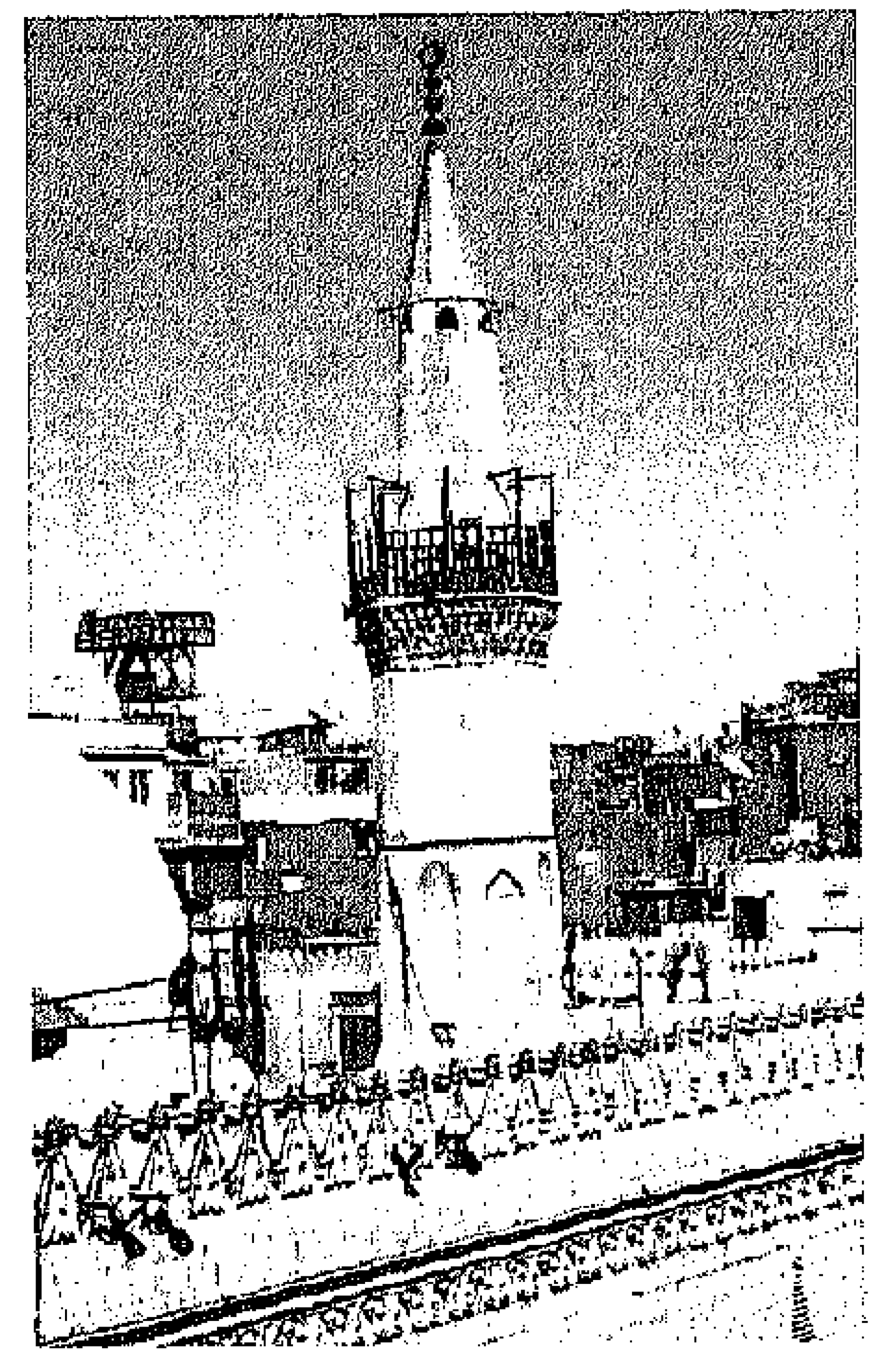


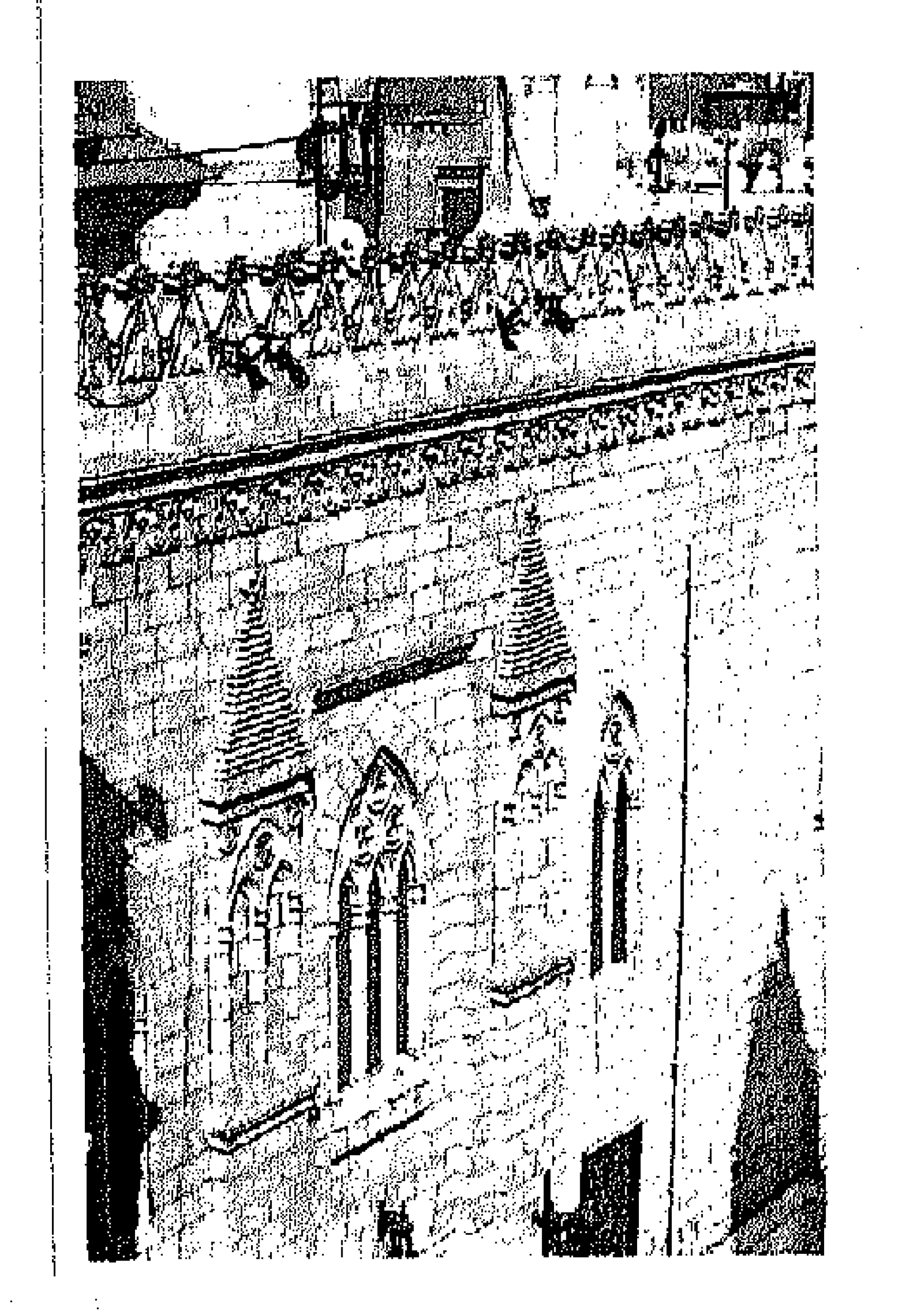
اعتمدت الإدارة العامة للبحوث والتأليف والترجمة
بمجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف مادة هذا الكتاب
بتاريخ ٢٤ ذو القعدة ١٤٢٥ هـ / ٥ يناير ٢٠٠٥م


سيدنا الحسين

سيدنا الحسين







إنه المركزُ، صميم البؤرة، والمنطلقُ إلى الجهات الأربع، الأصلية والفرعية، فى القاهرةِ أو غيرها من مُدُنٍ مصرية، تلك منزلة مسجد وضريح سيدنا "الحسين" رضى اللَّه عنه عند المصريين قاطبة.

إذا ما قيل على مسمعٍ من القوم "سيدُنا" فهذا يعنى الحسين.

وإذا قيل "مولانا" فهذا يعنى الحسين.

وإذا قيل "الحسين" فهذا يعنى كثير..

يعنى الإستشهادَ من أجل الحق، واقرار العدل، وإفتداء الجمع بحياة الفرد، لكى يتحول الوجودُ المادى إلى معنوى، ممتدًا، فلا زمنَ يحدُّه، ولا مكانَ يقيدهُ. ترتبط الحواسُ كلُّها به، بمعالمه ونقوشه ومعماره وما ينبعث من أرجائه. ذلك العطرُ الخفىُ، والظلالُ الهادئةُ، وطوابيرُ الساعين إلى الصلاة فى رحابه، وزيارة مرقد الرأس الشريف، لا ينقطعون ليلاً أو نهاراً، يسعَوْنَ إليه من القرى النائية، والواحات المعزولة فى الصحراء، والمدن القريبة والبعيدة، تنتظم حوله الحياة فى أجمل مشاهدها، يفيضُ المكانُ بالطمأنينة والسكينة، بالرضى، تتطلع إلى الآية الكريمة **"قُل لا أسألكمْ عليه أجراً إلا المودةَ فى القربى.."**.

مكتوبةٌ بخط جميلٍ وحروف خضراء على خلفية من اللون البنى، ومحفورةٌ فى الجدران، نقرأهَا فنرقُ، ونرددُها فنستكين، ومع بلوغ العمر نقطةً متقدمةً نستعيدها فنحن نفهم، ونسترجع مغزى ودلالات استشهاد "سيدنا" و"مولانا".

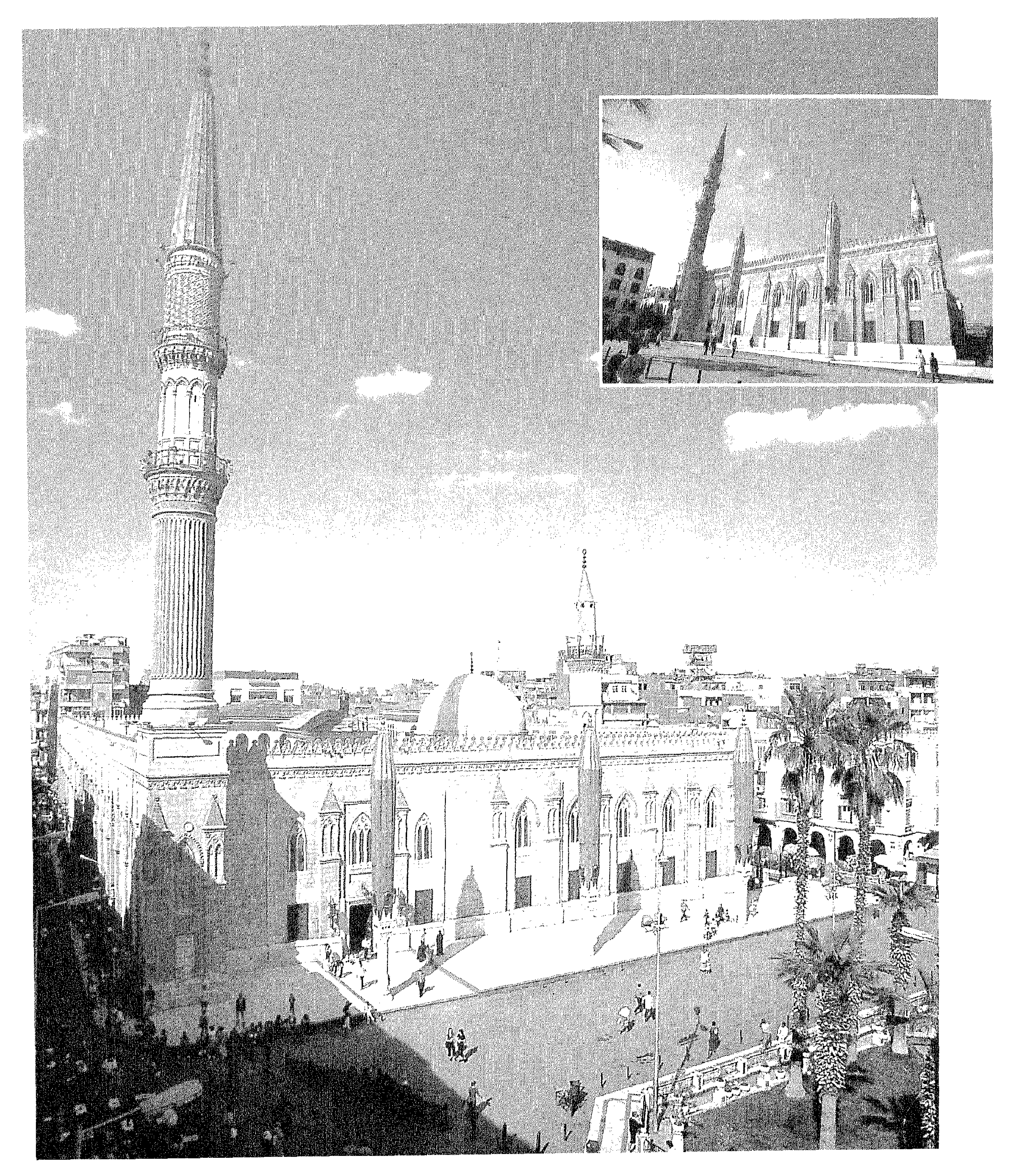
إذا ما قيل "الحسين" فهذا يعنى مكانًا أيضاً، وتُعرفُ مناطقُ القاهرة القديمة بمراقدِ آل البيت.

السيدةُ زينب، السيدةُ نفيسة، السيدة عائشة، سيدى زين العابدين، المركز هو "الحسين"، إنه المركز الروحى لمصر كلها وليس للقاهرة فقط.

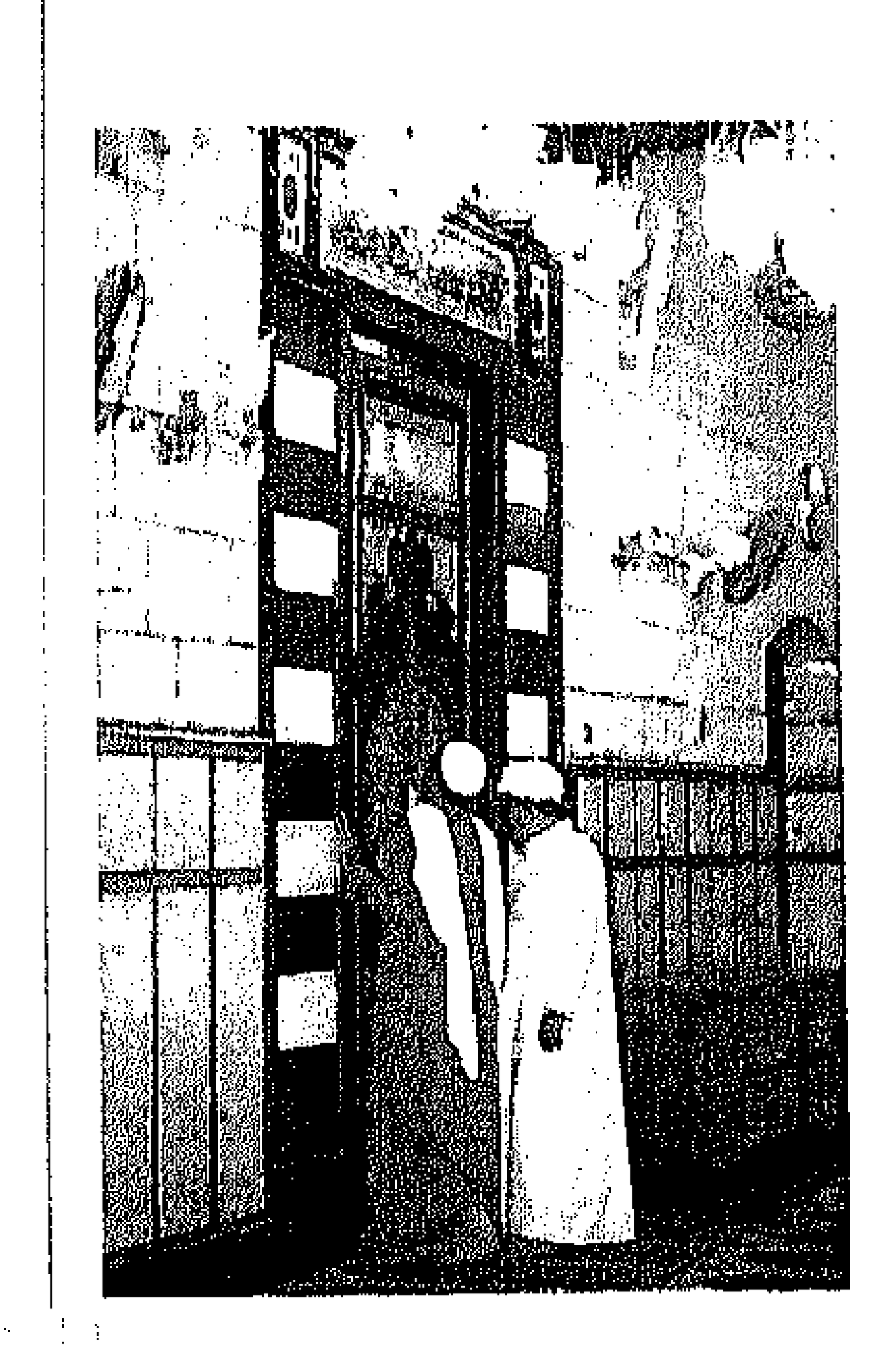
***

يقول المقريزى فى موسوعته "المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار" ما نصه:-

" قال الفاضل مُحمد بن على بن يوسف بن مليسر، وفى شعبان سنة (إحدى وتسعين وأربعمائة).. خرج الأفضلُ بن أمير الجيوش بعساكر جمة إلى بيت المقدس



وبه "سكان وبالغازى ارفق" فى جماعة من أقاربهما ورجالهما وعساكر كثيرة من الأتراك فراسلهما الأفضل يلتمس منهما تسليمَ القدسِ إليه بغير حرب فلم يجيباه لذلك فقاتل البلد ونصب عليها المنجنيق وهدم منها جانباً فلم يجدا بداً من الإذعان له وسلماه إليه فخلع عليهما وأطلقهما وعاد فى عساكره وقد ملك القدس فدخل عسقلان وكان بها مكانُ دُارس فيه رأس الحسين بن على بن أبى طالب "رضى اللَّه عنهما". فأخرجه، وعطَّره وحمله فى سَفْط إلى أجلِّ دار بها وعَمرُ المشهد فلما تكامل حمل الأفضلَ الرأسَ الشريف على صدره وسعى به ماشياً إلى أن أحله إلى مقرِّه وقيل أن المشهد بعسقلان بناه أمير الجيوش بدر الجمالى وكمَّله ابنه الأفضل. وكان حملُ الرأسِ إلى القاهرة من عسقلان ووصوله إليها فى يوم الأحد ثامن





جـمادى الآخـرة سنة ثمـان وأربعين وخمـسمـائة، وكـان الذى وصل بالرأس من عسـقلان الأمير سـيف المملكة تميم واليها، والقـاضى المؤتمن. ويُذكر أن هذا الرأس الشريف لما أخرج من المشـهد بعسقلان وُجِدَ دمُه لم يجفْ ولـه كريح المسك فقدم به الاستاذ مكنون فى عشارى من عشـاريات الخدمة وأنزل به إلى الكافورى ثم حُمِل فى السـرداب إلى قصـر الزُمرُّد، ثم دُفِن عنـد قبـة باب الديلم بباب دهليـز الخدمـة، ،فكان كل من يدخـل الخـدمة يُـقـبِّل الأرضَ أمـام القـبـر، وكـانوا ينحـرون فى يوم عاشوراء عند القبر الإبل والبقر والغنم"..

"الخطط" جزء أول ص٤٢٧

ويقول المؤرخ عثمان مدوخ فى كتابه "العدل الشاهد فى تحقيق المشاهد"

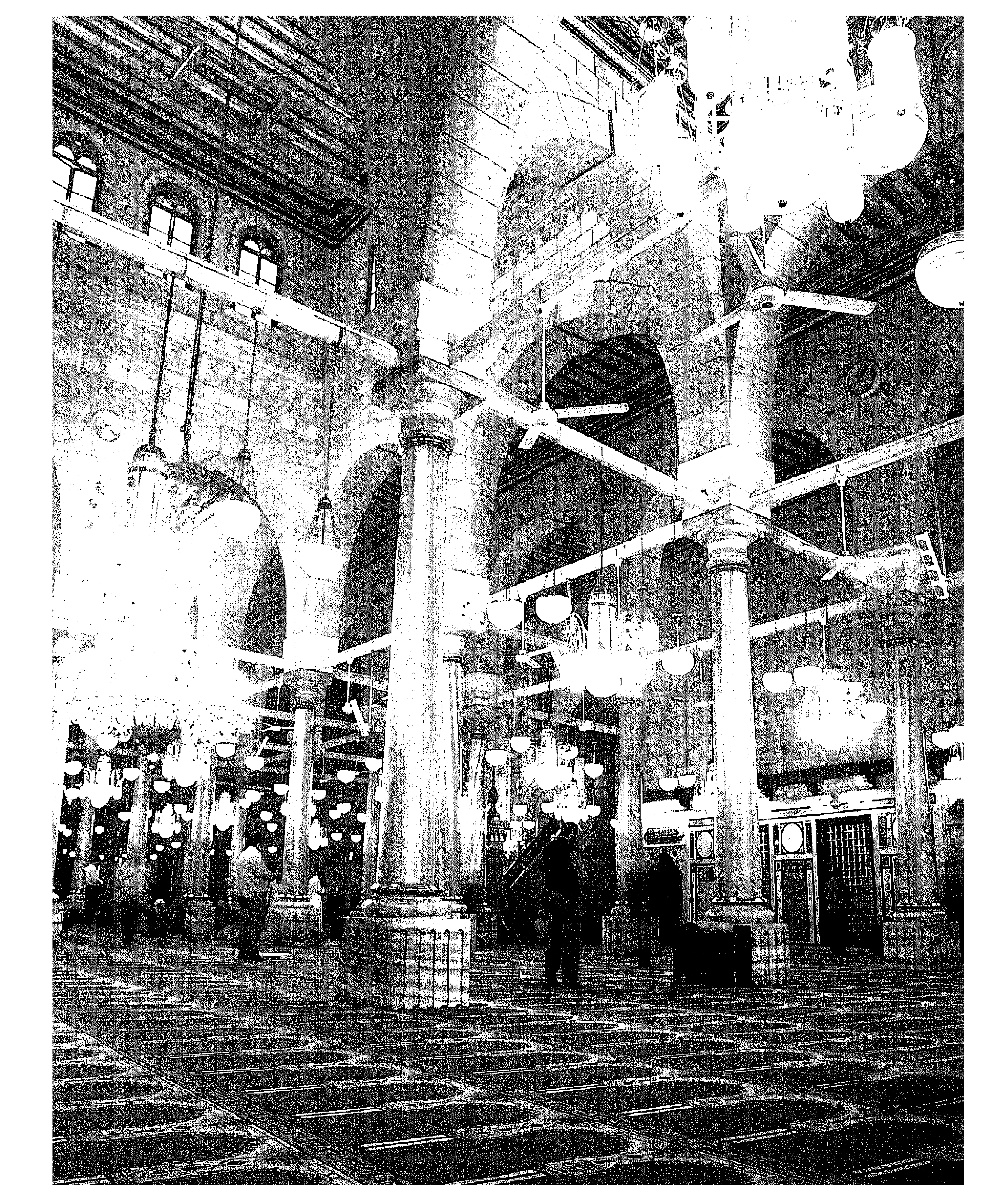
"إن الرأس الشريف له ثلاثة مشاهد تُزار، مشهد بدمشقَ دُفِن به الرأسُ أولاً، ثم مشهد بعسقلان بلد على البحر الأبيض ونقل إليه الرأس من دمشق ثم المشهد القاهرى بمصر بين خان الخليلى والجامع الأزهر".

وجاء فى كتاب "مرشد الزوار إلى طريق الأبرار" ما نصه:

"ذكر بعض العلماء ممن عاصر الفاطمين أن هذا الرأسَ الذى وُضِعَ بهذا المكان (يعنى المشهد الذى بالقاهرة) هو رأس الإمام الحسين "رضى اللَّه عنه"، كان بعسقلان، فلما كان فى أيام الظاهر الفاطمى، كتب عباس إلى الظاهر، بقوله له. أما بعد فإن الفرنجَ أشرفوا على أخذ عسقلان، وأن بها رأساً يُقال أنه رأسُ الحسين بن على رضى اللَّه عنهما. فأرسل إليه من تختار ليأخذه، فبعث إليه مكنون الخادم فى عشاري من عشارى الخدمة فحمل الرأس من عسقلان وأرسى به فى الموضع المعروف".

وفى العصر الحديث، ذكر الأستاذ حسن عبد الوهاب، أحد كبار المتخصصين فى الآثار الإسلامية فى القرن العشرين فى مؤلَفه الفخم عن المساجِد الأثرية فى مصرَ ما نصُّه:

"روَى المقريزى نقلاً عن ابن عبد الظاهر أن الصالح طلائع بنى هذا الجامع ليدفن فيه الرأس الشريف، فلما فرغ منه، لم يُمكِّنه الخليفه من ذلك، وقال لا يكون إلا داخل القصور الزاهرة، وبَنَى المشهد الموجود الآن".

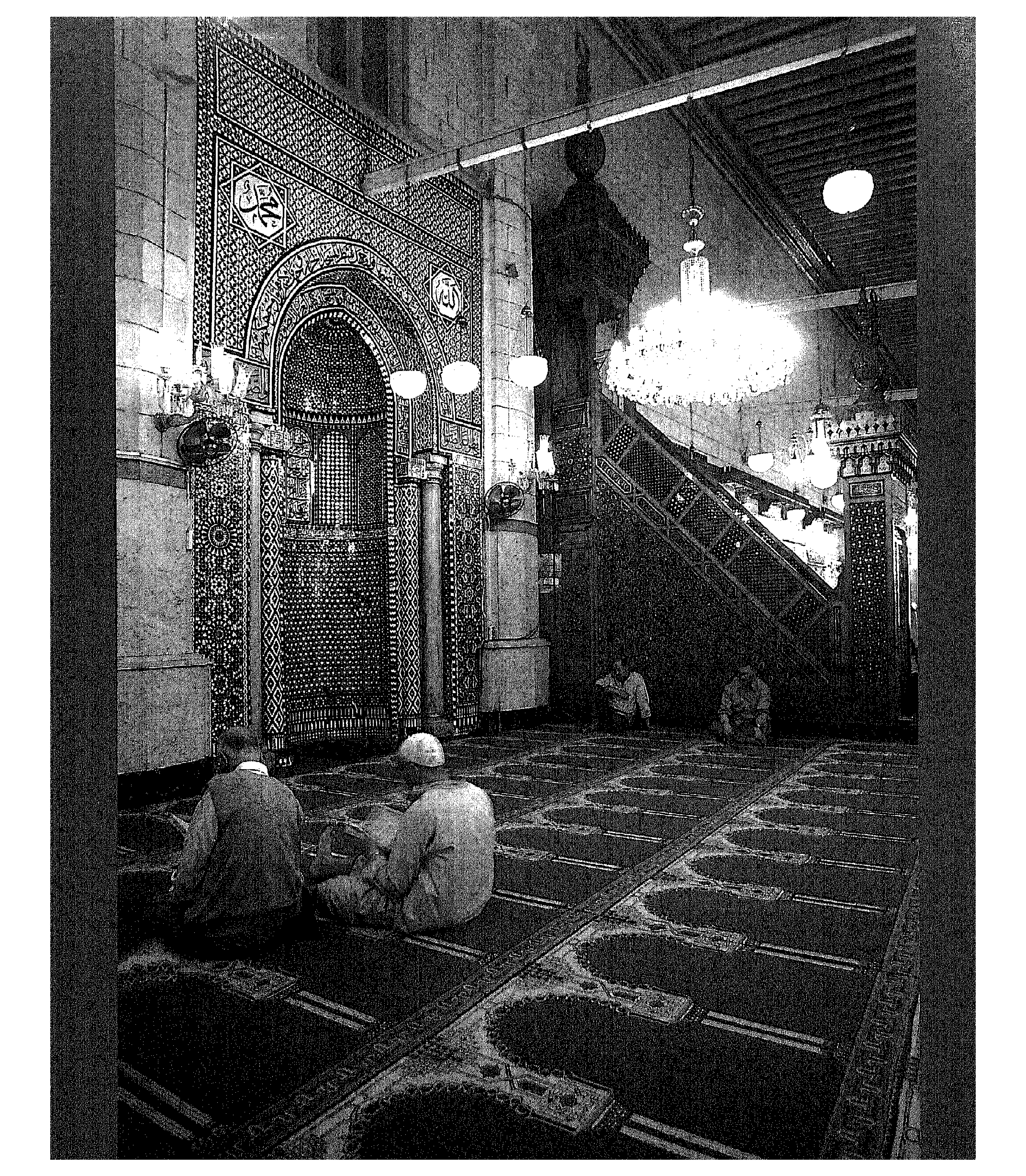




ثم يذكر اكتشافَه للمشهد الذى بناه الصالح طلائع ليكون مثوىً لرأس سيدنا الحسين، ولكن الخليفة الفاطمى أصَّر على دفنه داخل القصر، فى نفس الوضع الذى يوجد به الآن.

وفى كتابها الموسوعى "مساجد مصرَ وأوليائها الصالحين" تحقق الدكتورة سعاد ماهر، كافة الآراء التى وردت عبرَ التاريخ حولَ موضعِ الرأس الشريف، وتنتهى إلى رأى قاطع:

"مما تقدم نستطيع أن نقول بوجود رأس بمشهد عسقلان، ومن المرجح أن يكون هو رأس الحسين رضوان الله عليه، ونستطيع أن نؤكد فى ثقة واطمئنان بأن هذا الرأس قد نقل إلى مشهد الحسين بالقاهرة.."



محمد
الله



وهنا نذكر ما قاله الشاعر....

لا تطلبوا المولى الحُسين

بأرض مشرقٍ أو بغـــربِ

ودَعُوا الجميع وعرِّجوا

نحوى فمشهده بقلـــبى

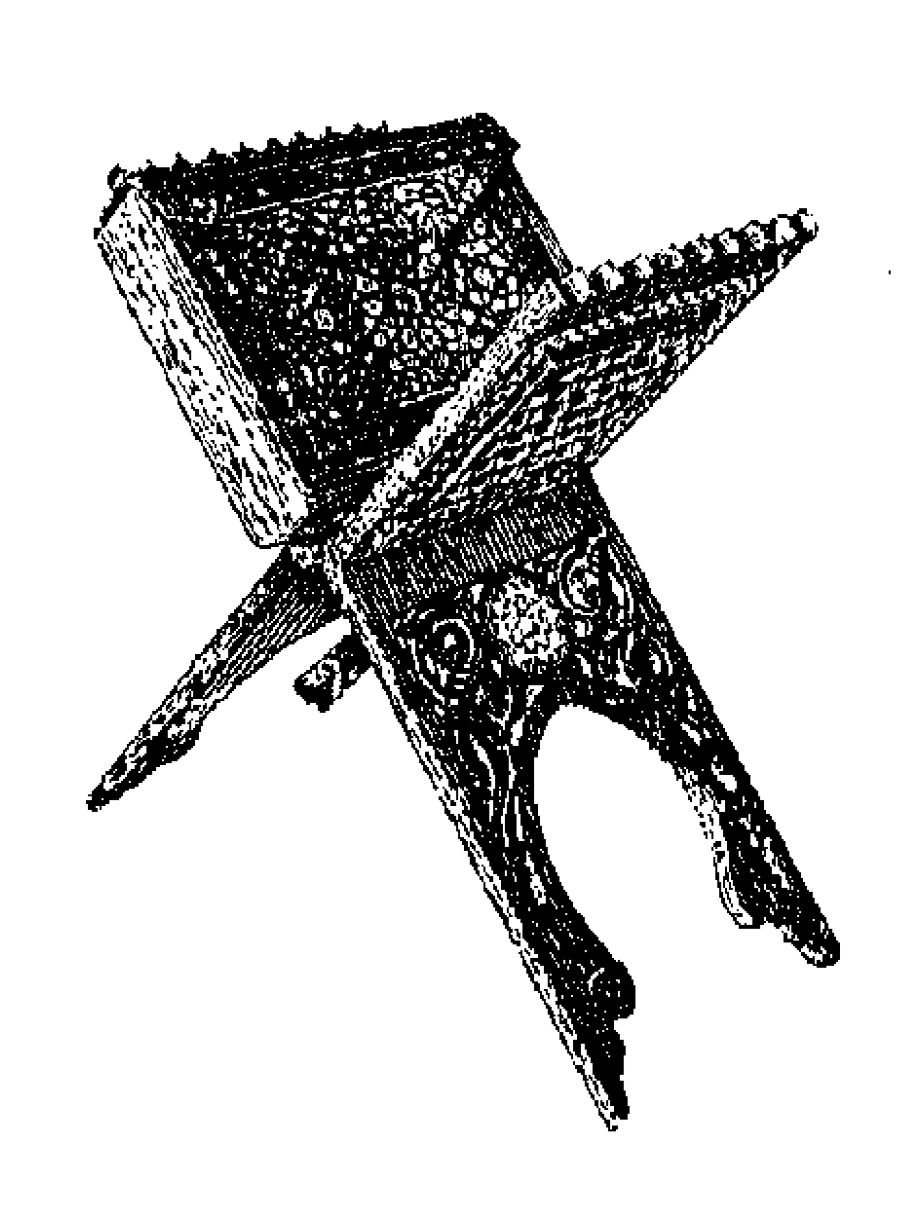
÷ ÷ ÷

إذن:-

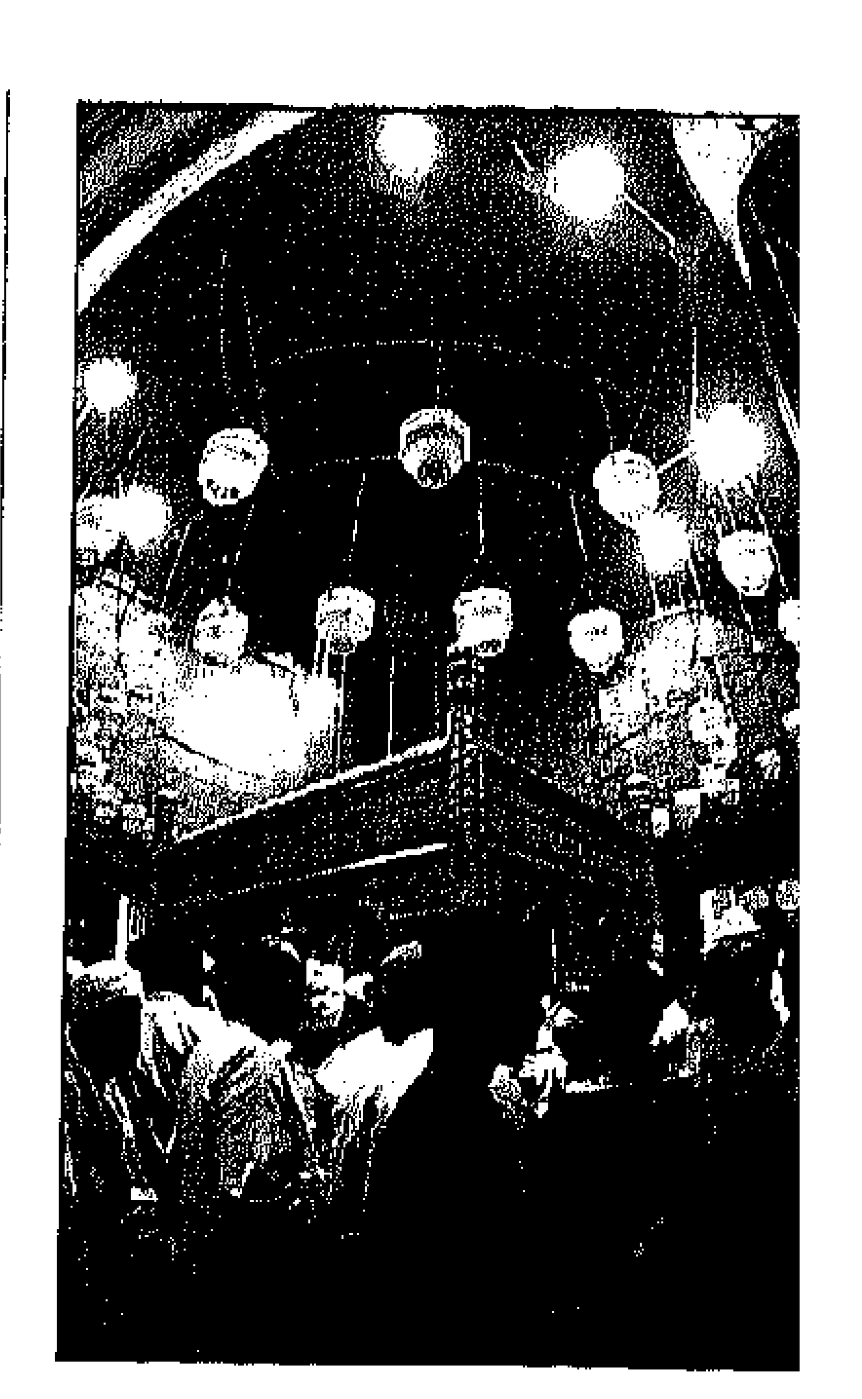
نُقِلَ الرأسُ الشـريف إلى مـصرَ يومَ الأحـد ثامن جـمادى الآخـرى، سنة ثمـان وأربعين وخمسمائة هجـرية، الموافق (٣١ أغسطس سنة ١١٥٣ ميلادية). ودفن أولاً فى قصر الزمرُّد الفاطمى. ثم أُنشِئَت له قبة خاصة (هى المشهد الحالى، عام ٥٤٩هـ).

وقد وصفه لنا الرحالة بن جبير الذى زار مصر في العصر الأيوبى سنة ٥٧٨ هـ، (سنة ١١٨٤ميلادية) وصفاً شاملاً، دقيقاً. نصه:

"فمن ذلك المشـهد العظيم الشـأن الذى بمدينة القاهرة حـيث رأس الحسين بن على بن أبى طالب رضى اللّه عنهـما، وهو تابوت من فـضة مدفـون تحت، قد بُنى عليه بنيـان حفيل يقصرُ الوصفُ عنه ولا يحـيط الإدراكُ به مجللٌ بأنواع الديباج. محفوف بأمثال العمَـد الكبار، شمعاً أبيضَ ومنه ما هو دون ذلك قد وُضِع أكثرهُ فى أقـدار فضة خالصـة ومنها مُذهبة. وعُلقِّت عليـه قناديلُ فضة، وحُفَّ أعلاه كلُّه بأمثـالَ التفافيح ذهباً فى مـصنع شبيه الروضة يقـيد الأبصار صنعاً وجمالاً ، فـيه أنواع من الرخام المجذع القريب الصنعة، الـبديع الترصيع بما لا يتخيله المتخيلون، والمدخل إلى هذه الروضة على مـسجد على مثالها فى التأنق والغرابة، وحـيطانه كلها رخام على الصفـة المذكورة وعن يمين الروضة المذكورة وشمالها وهما أيضاً على تلك الصـفة بينها والأستار البديعة الصنع من الديباج معلقة على الجميع".



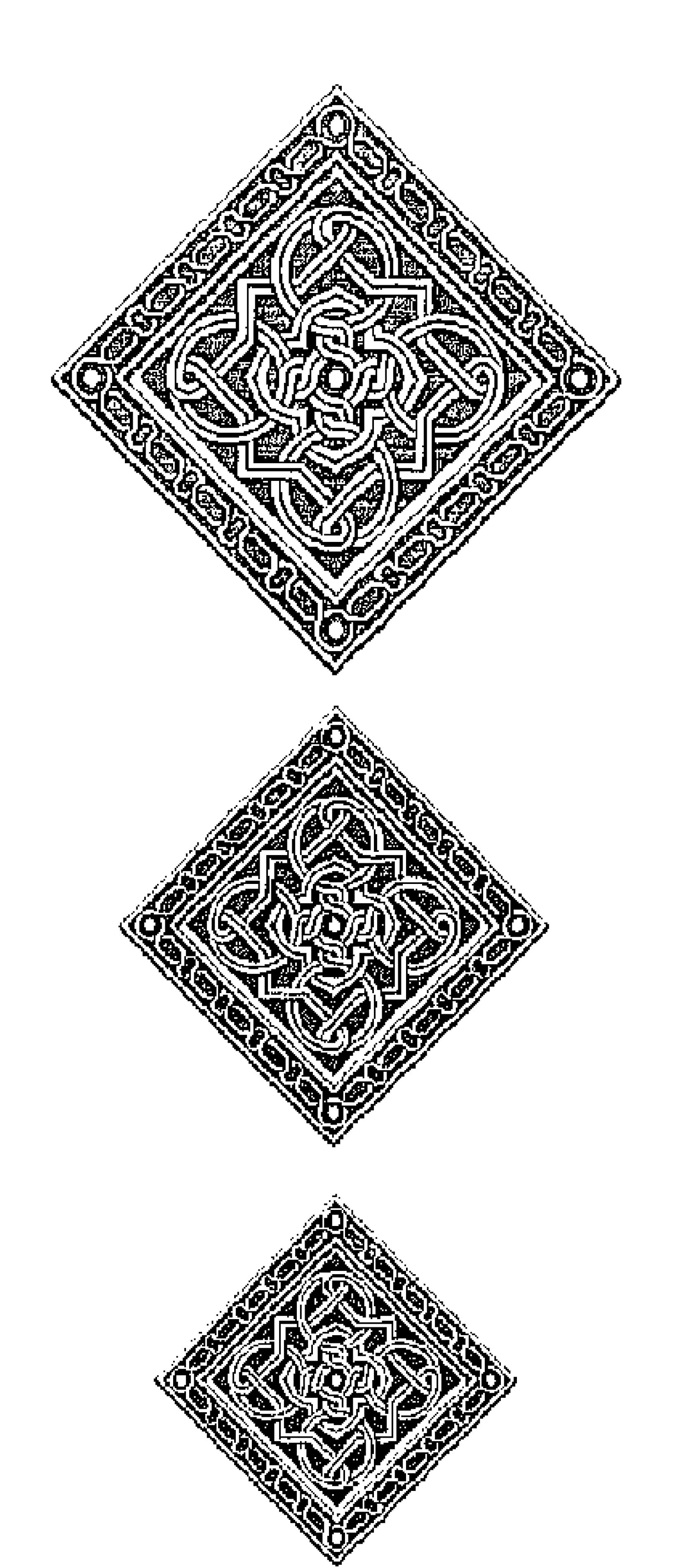
لم يتبقَ من المشهـد الأيوبى إلا البـوابة الخضـراء، وتُعرف بين القـوم فى مصـر بالباب الأخـضرِ، وله منزلةٌ خـاصةً فى نفوس الزائرين، فى المـشهد الأصلى مـئذنة



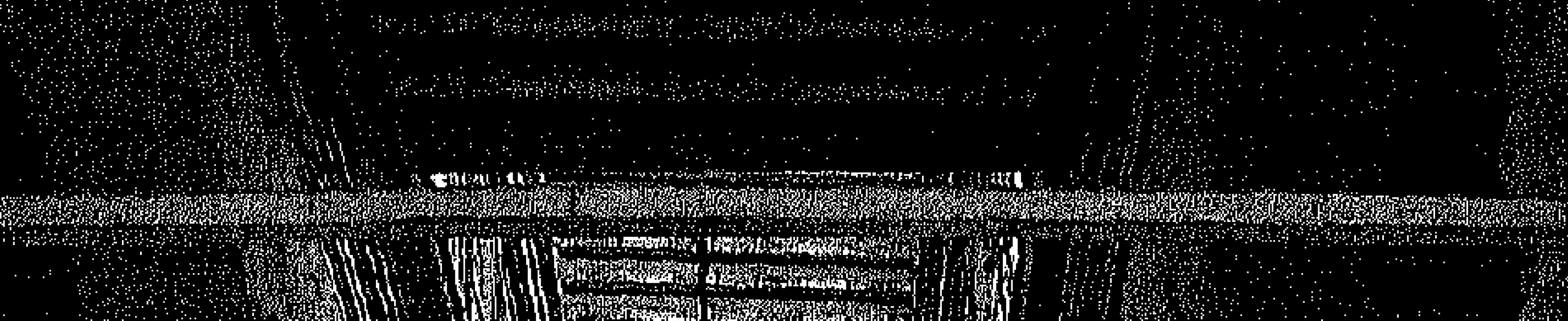
أنشأها. "أبو القاسم بن يحيى بن ناصر السكرى" (المعروف بالزرزور) وهى مليئة بالزخارف الجصية والنقوش البديعة، وما تزال القاعدة تحتفظ بملامح وتفاصيل منها، عليها لوحتان تأسيستيان مكتوب علي الأولي:-

"الشيخ الصالح المرحوم أبو القاسم بن يحيي المعروف بالزرزور ابتغاءَ وجه اللَّه ورجاء ثوابه وكان تمامها على يدى ولده محمد سنة (ثلاثة وستين وستمائة) عفا اللَّه عنه".

احترق المشهد فى عهد الصالح نجم الدين أيوب سنة ٦٤٠ هـ، وقام بترميمه بعد هذا الحريق القاضى الفاضل عبد الرحيم البيسانى ووسَّعه وألحق به ساقية وميضأة ووقف عليه أراضِيَ خارج الحسبنية قرب الخندق، ثم تم توسيع المسجد فى زمن الظاهر بيبرس وفى زمن الناصر محمد بن قلاوون. وفى الزمن العثمانى فقد تمت عدة إصلاحات أهمها تلك التى قام بها الأمير عبد الرحمن كتخدا فى سنة١١٧٥هـ، أعاد بناء المسجد وعمل به صهر يجاً وحنفية بفسحة وأضاف إليه إيوانين، كما رتَّب لسدَنته والقائمين عليه مُرَتبات كثيرة، ثم جُدِدَ المسجد فى زمن الخديوى إسماعيل. وأُسندت أعمال التجديد إلى "على باشا مبارك" الذى قام بوضع تصميم المسجد الذى نراه حتى يومنا هذا. وقد شاهدت عمليات التوسيع التى قام بها الزعيم الراحل "جمال عبد الناصر"، وكان قد اعتاد صلاة العيدين، الفطر والأضحى فى مسجد الحسين بدأ مشروع التوسعة سنة ١٩٥٩، واستمرت أربع سنوات، افتتح عام ١٩٦٣، ويمكن القول أن مساحة المسجد تضاعفت بهذه التوسعة، إذ كانت مساحته ١٥٠٠ متراً مربعاً، فأصبحت ٣٣٤٠ متراً مربعاً، أى أضيف إلى مساحته الأصلية ١٨٤٠ متراً مربعاً.. وقد رُوعِى فى التجديدات أن تكون مشابِهةً تماماً للقديم، ومن يرى المسجد الآن لا يمكنه التفرقة بين الجزئين: الأصلى والإضافة. وقد أُضيفت إليه عدة منشآت، منها مبنى إدارة المسجد من طابقين، ومبنى المكتبة فى عام ١٣٨٥ هـ - ١٩٦٥م وقد أهدت البهرة بالهند مقصورة من الفضة الخالصة، تلك التى يراها الزوار الآن.

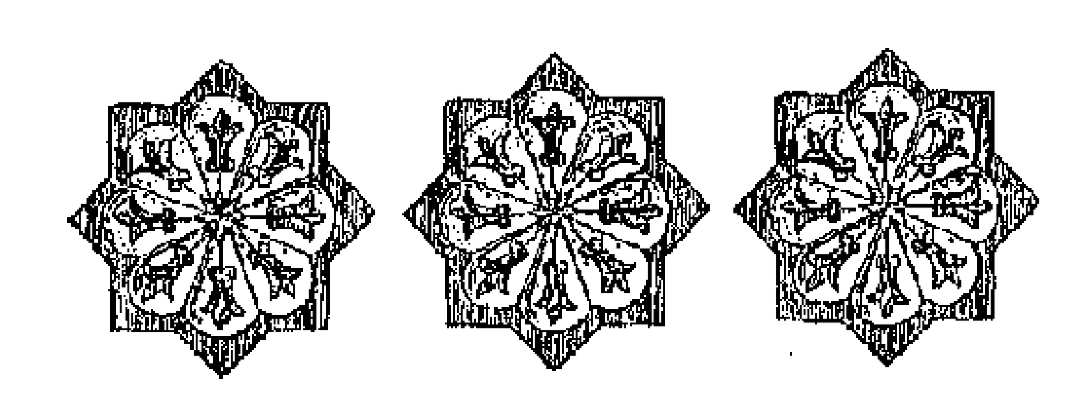


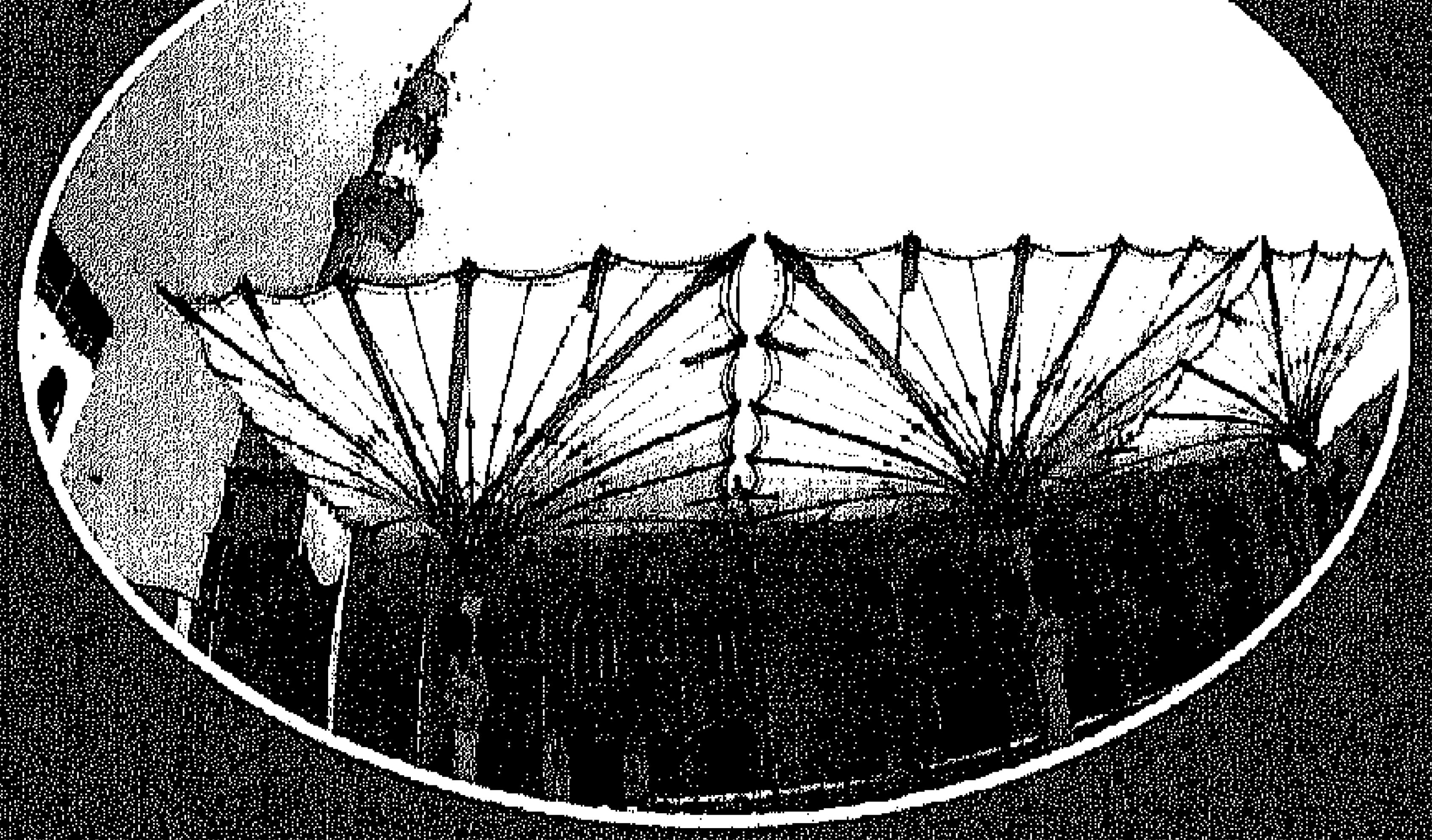


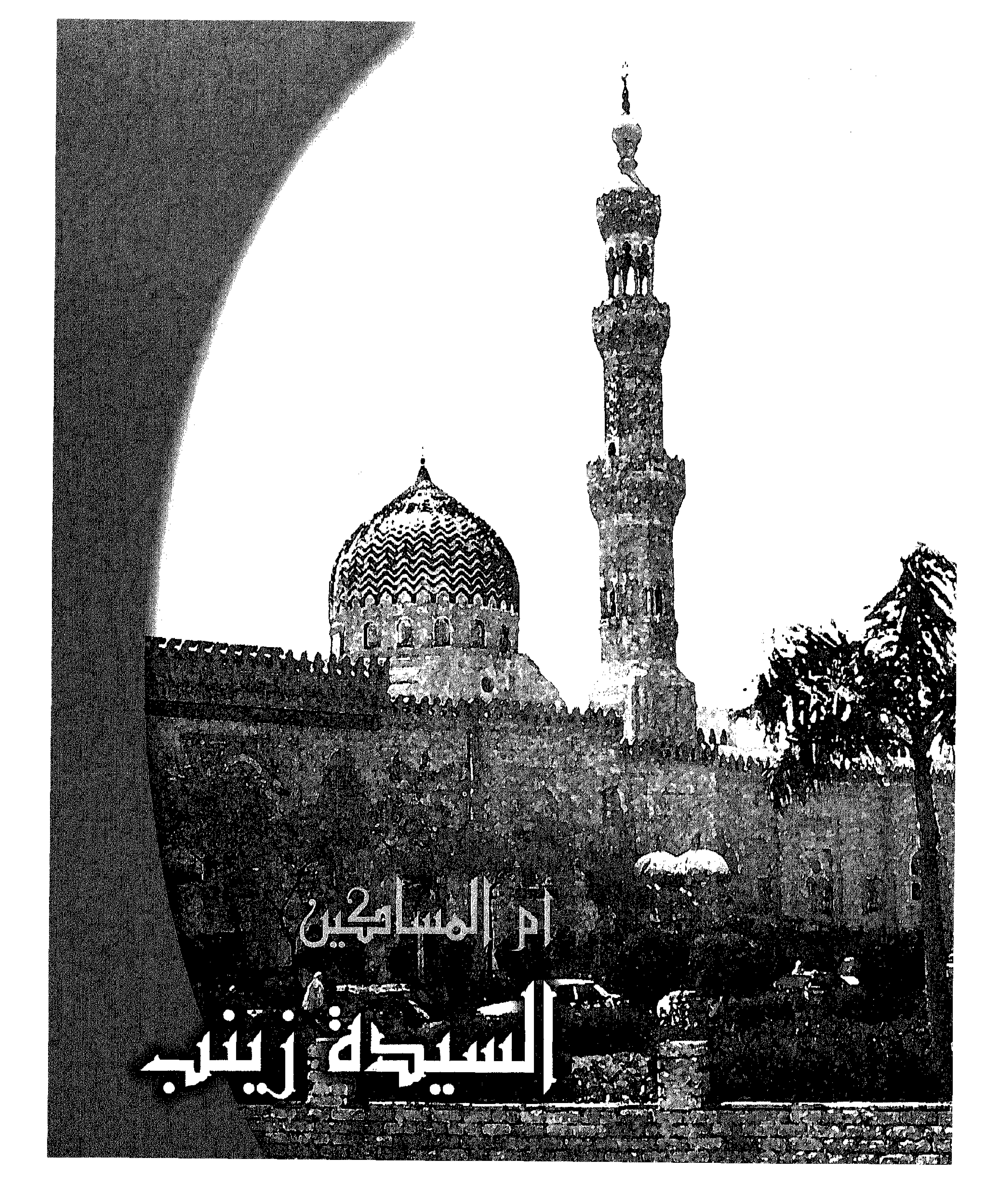





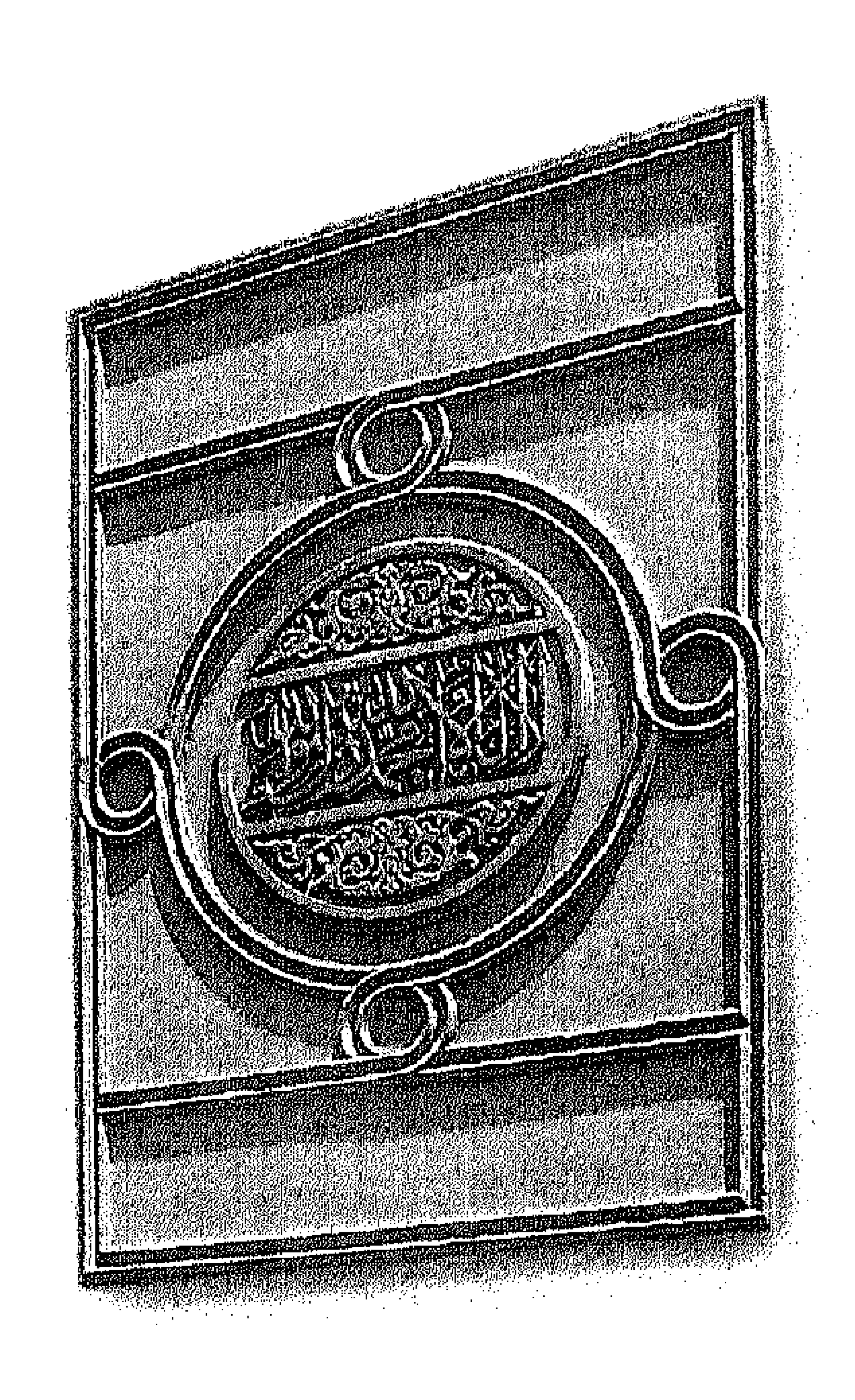

والقبة التى نراها الآن فوق المشهد حديثة، أقيمت فى نهاية الثمانينات وأشرف على تركيبها المرحوم الدكتور "أحمد قدرى" رئيس هيئة الآثار المصرية فى ذلك الوقت، ومن المسجد والمشهد يشع ذلك الحُضورُ الرُوحى القوى الذى يجعل منه مركزاً روحياً ليس للقاهرة فحسب. إنما لمصرَ كلِها.






أم المساكين
السيدة زينب

رئيسة الديوان، صاحبة الشورى
أم هاشم، أم العواجز والمساكين.

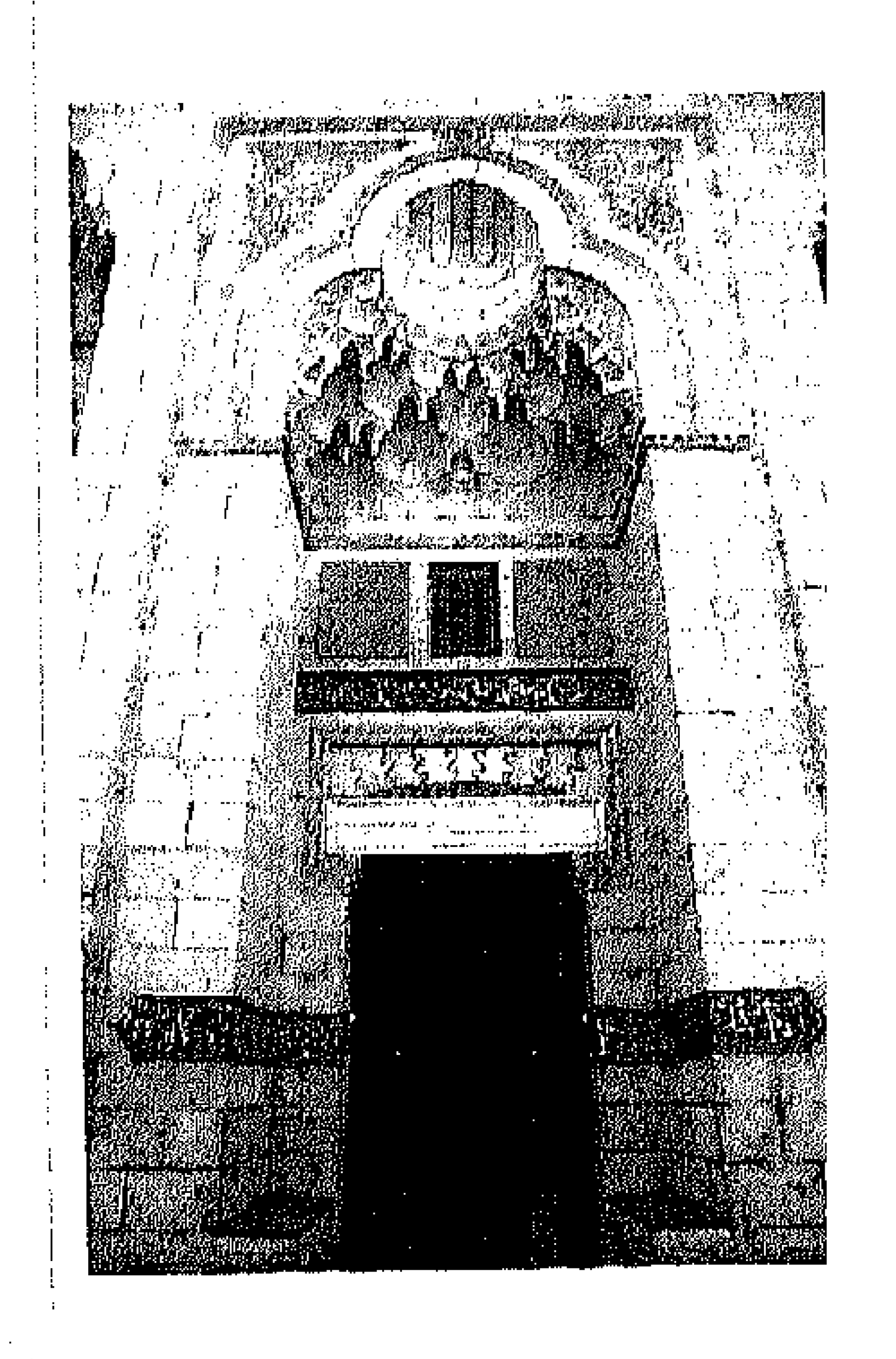


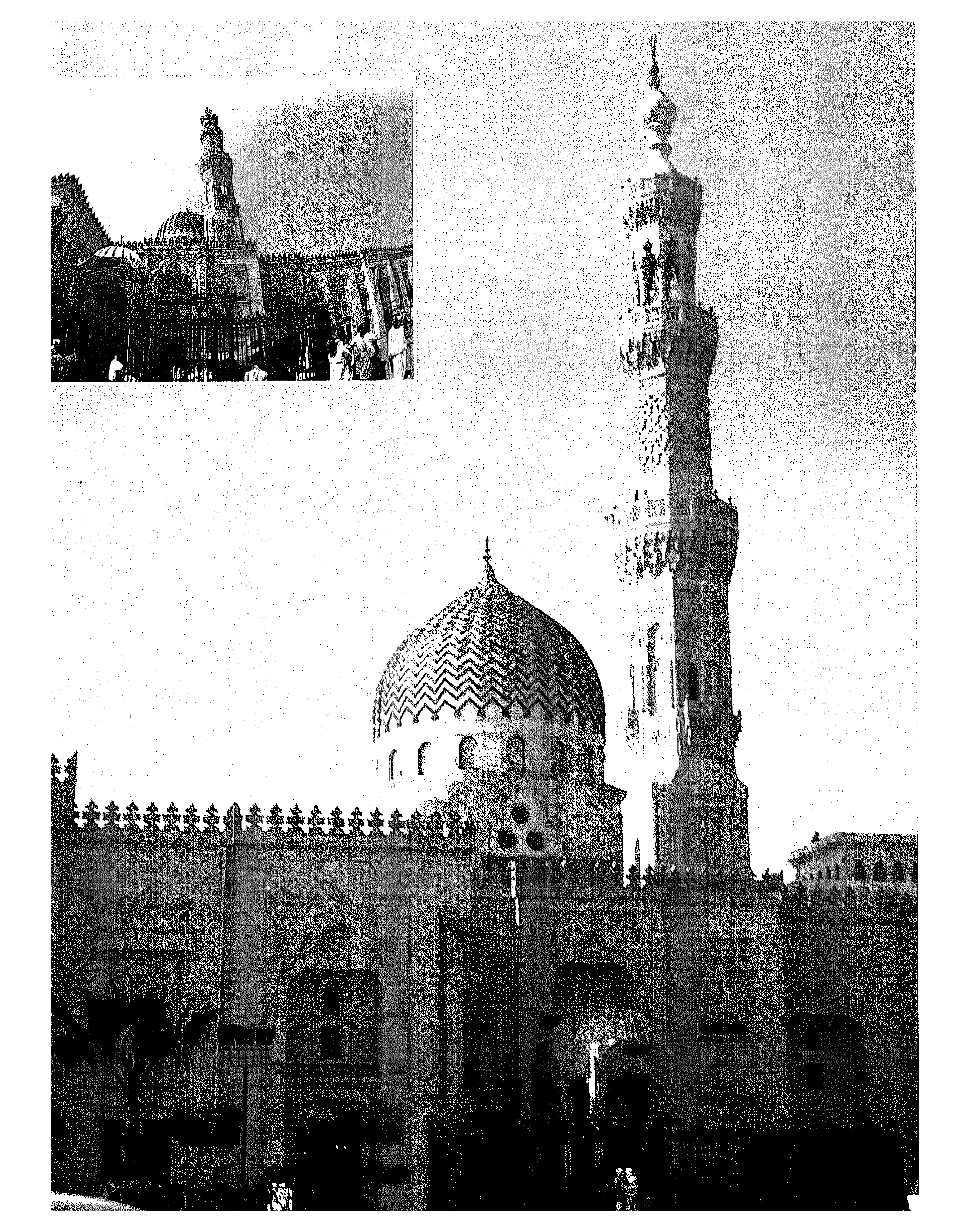
هكذا يصفها المصريون فى أحاديثهم عنها، إنها السيدة زينب بنت على ابن أبى طالب، شقيقة سيدنا الحسين سيد الشهداء، اقترن اسمُها بمأساة كربلاء، ودورها معروف، إنها أول من دخل إلى مصر من آل البيت.

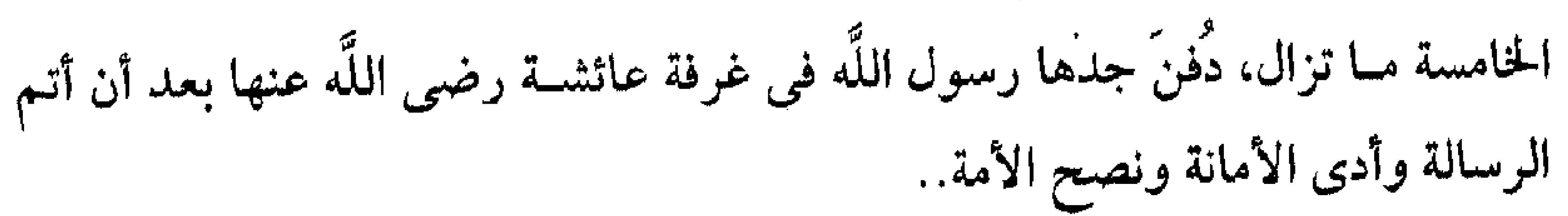
بوصولنا إلى مرقدها الشريف الذى يطل على مَيْدان فسيح عتيق يحمل اسمَها نكون قد بدأنا الرحلة إلى المسار الذى يقودُنا إلي المراقدِ المقدسة لآل البيت فى مصر، يُطلق اسمُها على المنطقة مكانياً وإدارياً، حتى أن قسم الشرطة القريب من المسجد يُسمى بقسم السيدة زينب، وإذا كان المصريون يفهمون على الفور المقصود بسيدنا، أى مولانا الحسين، فإنهم يدركون أيضاً المقصود بالسيدة، سواء كانوا قاهريين أو من المحافظات القريبة أو البعيدة، فى الشمال أو الجنوب، عندما يقول أحدُهم إنه قاصد إلى السيدة، أو إنه يستجير بالسيدة، أو إنه يستعين ويتوسل بالسيدة لقضاء حاجة، فإن المقصود... سيدة واحدة لا غيرَ، إنها السيدة زينب بنت علي رضى اللّه عنهما.

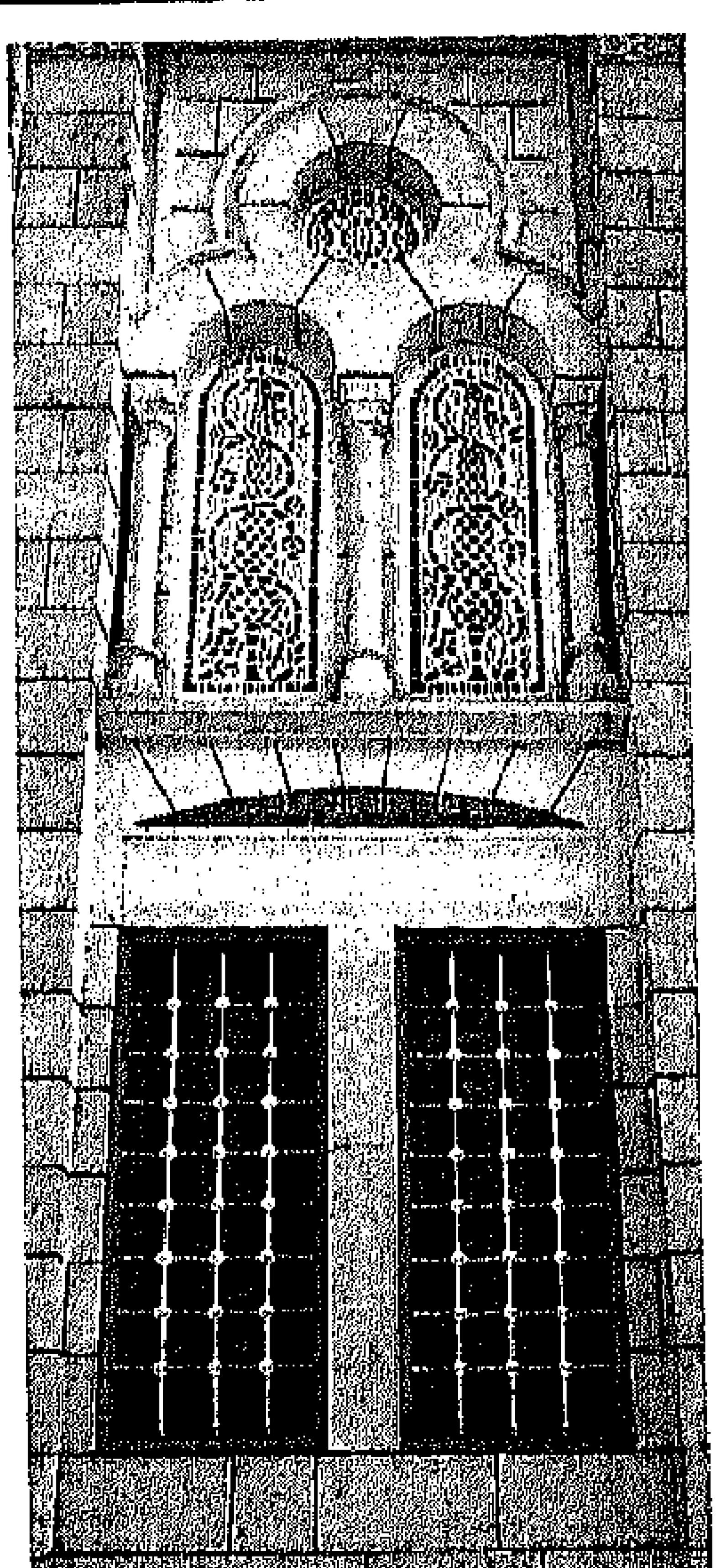
* * *

إنها إذنْ غنية عن التعريف، فأبوها على بن أبى طالب، وجَدُّها لأمها محمد رسول اللّه، وأمُها فاطمة البتول، وجدتها لأمها خديجة بنت خويلد أولى أمهات المؤمنين، شقيقاها الحسن والحسين. وُلدت فى السنة السادسة للهجرة، فى بيت النبوة بالمدينة المنورة، اختار لها جَدُّها رسولَ اللّه اسم زينب، إحياءً لذكرى ابنته زينب التى توفيت فى السنة الثانية للهجرة متأثرة بجراحها، فقد لقيَها أحد المشركين بعد غزوة بدر، فى طريقها إلى المدينة فنخسها فى بطنها ، وكانت حاملاً فأسقطَ حملهَا وماتت، أورث هذا رسول اللّه حُزناً وأسىً إلى أن ولِدت أختها فاطمة الزهراء ابنتها الأولى سماها زينب، أحاطها برعايته وحنوه، لكنه لبى نداء ربه وهى فى







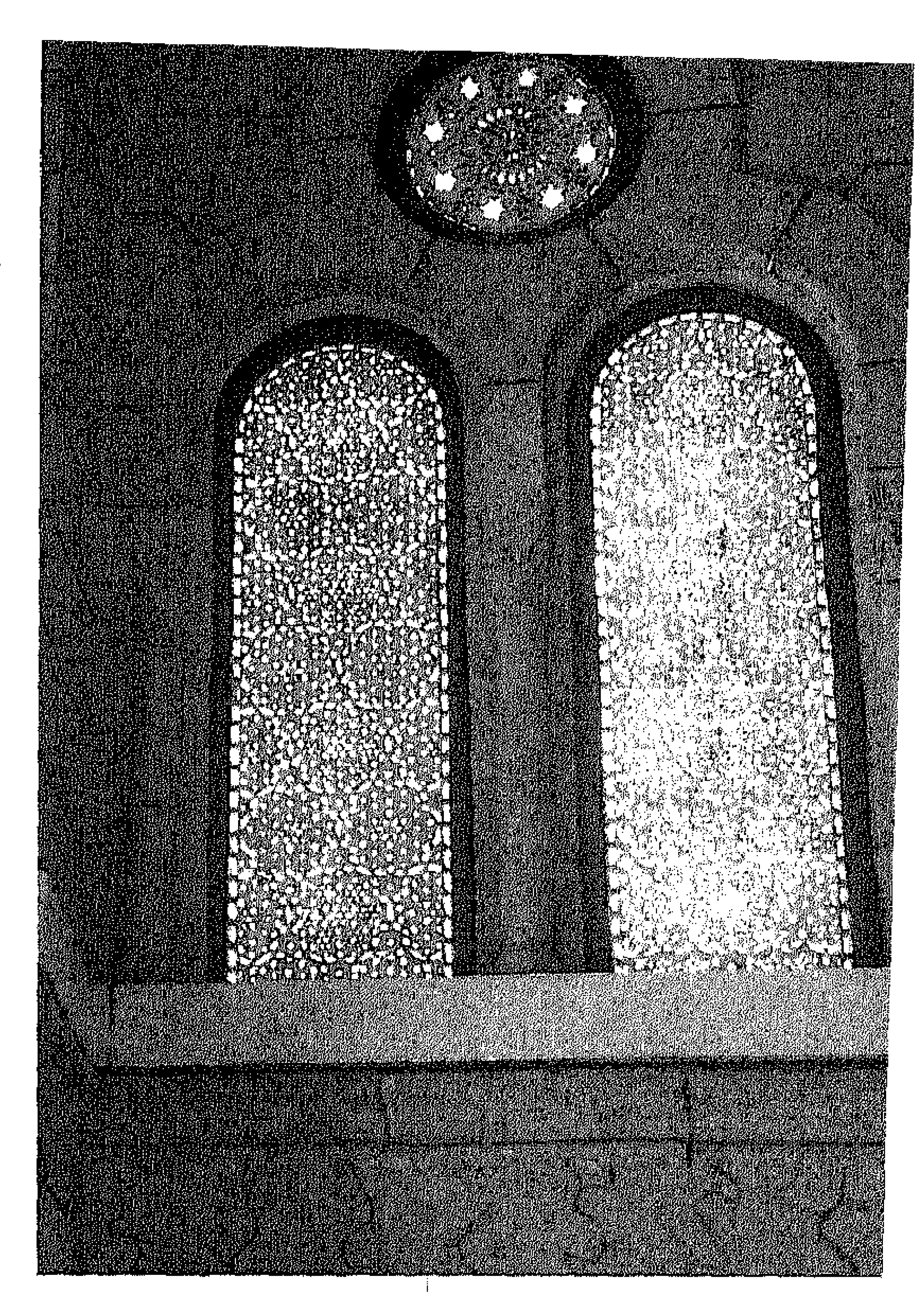


الخامسة مـا تزال، دُفِنَ جدها رسول اللَّه فى غرفة عائشـة رضى اللَّه عنها بعد أن أتم الرسالة وأدى الأمانة ونصح الأمة..

أيام حزينة تلك التى عرفتها الطفلة زينب بعد رحيل جدها، فلا يذكُر التاريخ ولا الثقاة أن والدتها فاطمة قد ضحكت أو تبسَّمت بعد أن لبى والدها نداءَ ربه الذى بعثه رحمةً للعالمين، وتذكُرها مصادرُ التاريخ باعتبارها من البكائين الستة فى التاريخ..

بكى آدم ندماً، وبكى نوح قـومه، وبكى يعقوب ابنه يوسف، وبكى يـحيي خوف النار وبكت فاطمـة أباها، ثم أدركتها رحـمة اللَّه فلحقت بوالدها بعـد أسابيع قليلة، قيل ستة شهور، وقيل ثلاثـة، وقيل أقل من ذلك.. هكذا عرفت الطفلة البريئة ضراوة الأحزان منذ طفولتها المبكرة، وهكذا وجدت نفسـها وهى طفلة صغيرة فى مقام الأم بالنسـبة لأشـقائهـا...، الحسن والحسين وأم كلثوم، تجمع الروايات المتناقلة على أن





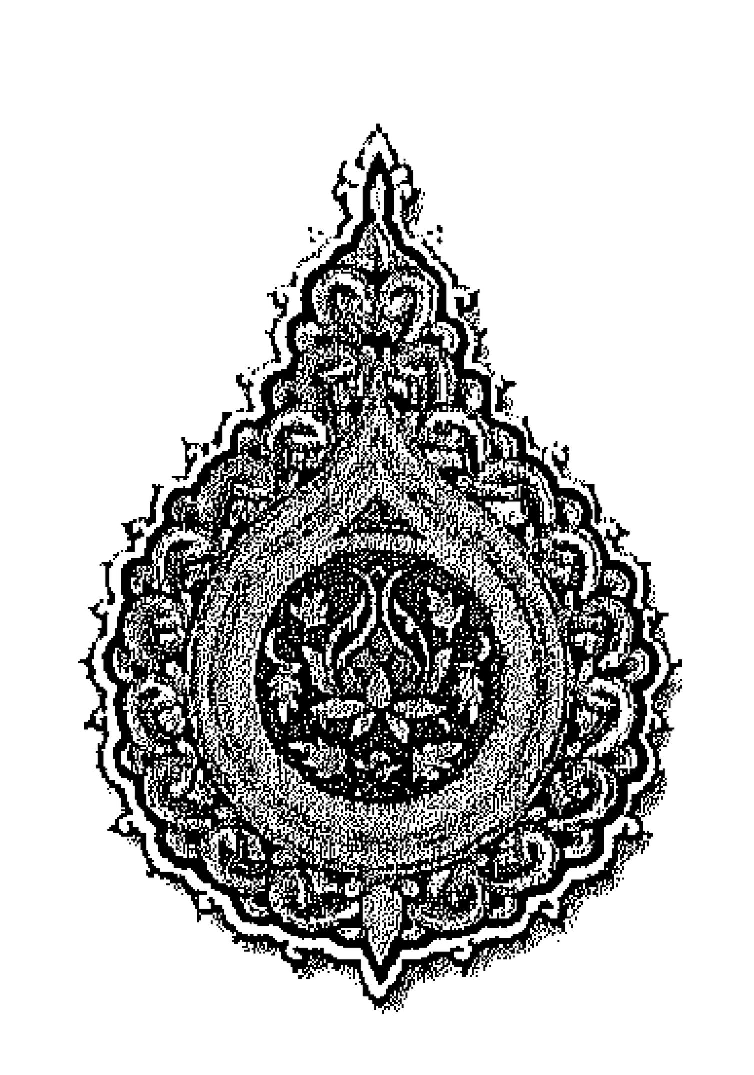
أمهـا أوصتهـا وهى على فراش الموت أن تصحب أخـويها وترعـاهمـا، أن تـكون لهـمـا أمـاً، ولكن مـا ينـتظرها فى مسـتقـبل أيامهـا كان أفظعَ بكثـير من تلك الأحـزان التى شبت بعد فَقْدها جَدَّها وأمَها وهى ما تزال طفلة..

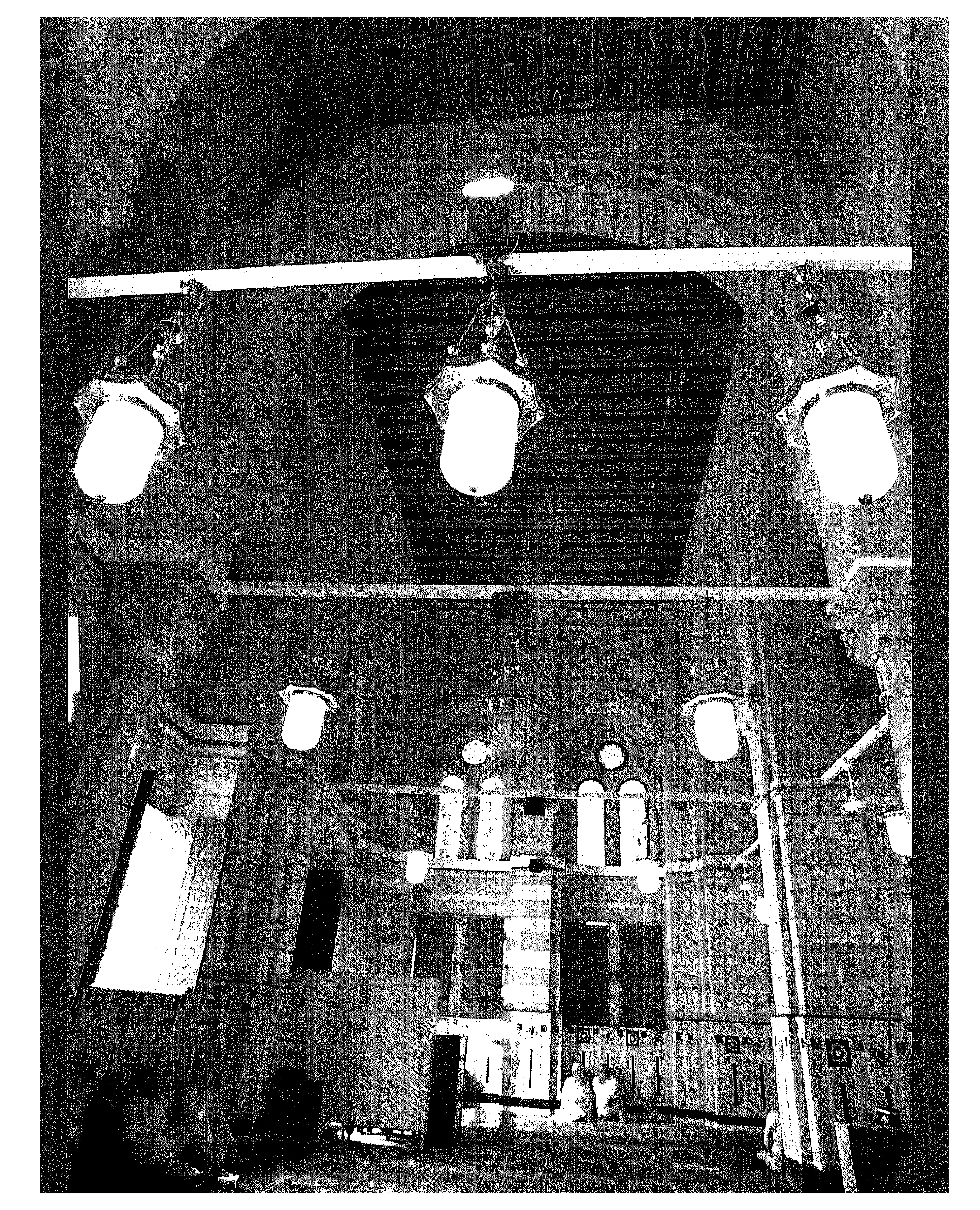
حـتى محنة كـربلاءَ لم يكن يعـرف أوصـافـهـا إلا المقربون جداً ولكن عندما حلت الكارثة الكـبرى، والمصيبة العظمى، خـرجت السيـدة زينب إلى الناس سافـرة، فرأى القومُ جمـالاً رائعاً، مهيباً لا مثيل له. يصفُهـا عبد اللّه بن أيوب الانصارى فيقول: فواللّه مـا رأيت مثلها وجهاً كأنه شقة قمـر، أما الجاحظ فيقول فى كتابه "البـيان والتبيين" أنها كانت تشبه أباها علِمـاً وتُقَىً. كانت عالمةً، لها مجلسُ تُلقِى فيه على النساء، كما تشرح لهن أمور الدنيا والدين، فـيقول الجاحظ عنهـا أنها كانت تُلقَّب بعـقيلة بنى هاشم، وهى حقاً كذلك، ومن هذا اللقب ومـن انتمائها إلى البيت الهاشمى جـاء لقبها عند المصريين "أم هاشم"، وأيضاً لأنها تجسيد للأمومـة، فلم تكن أماً فقط لأبنائها جعفر، وعلى وعون الأكـبر - وبنتين هما: أم كلثـوم وأم عبد اللّه، أنجبـتهم من زوجها عـبد اللّه جعـفر، لكنهـا كانت أمـاً لأشقائهـا بعد وفـاة والدتها مـبكراً، ثم أصبـحت أماً وحامية لزين العابدين ابن مولانا الحسين، الوحيد الذى نجا من كارثة كربلاء.

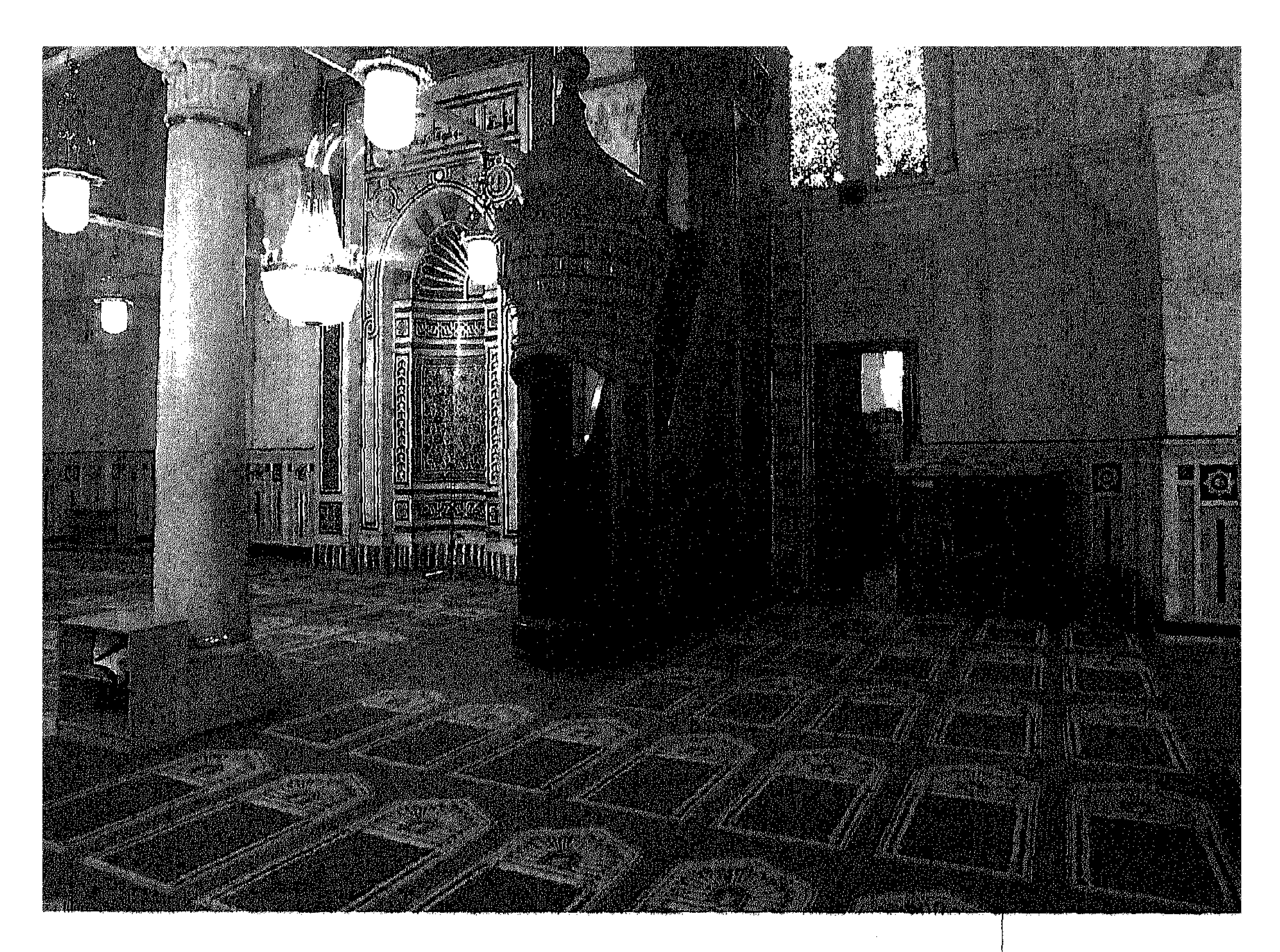
إنها التجسيد المطلق للأمومة، تماماً كما كانت ايزيس فى عقيدة المصريين القدماء، لذلك بمجـرد قـدومهـا إلى مـصـر، وبمجرد أن ألمَّ المـصريون بما جـرى فى كـربلاء، أنزلوها تلك المرتبة الرفيعة.

* * *

من وراء ستار بيـتها كانت السيـدة زينب ترقب تطور الأحداث المأساوية، مـوقعة الجمل ، ثم مـوقعـة صفين مع مـعاوية، ثم معـركة النهـروان ضد الخـوارج، خمس سنوات متـصلة لم يهدأ والدها الإمـام "على" رضى اللّه عنه عن خوض المعـركة تلو

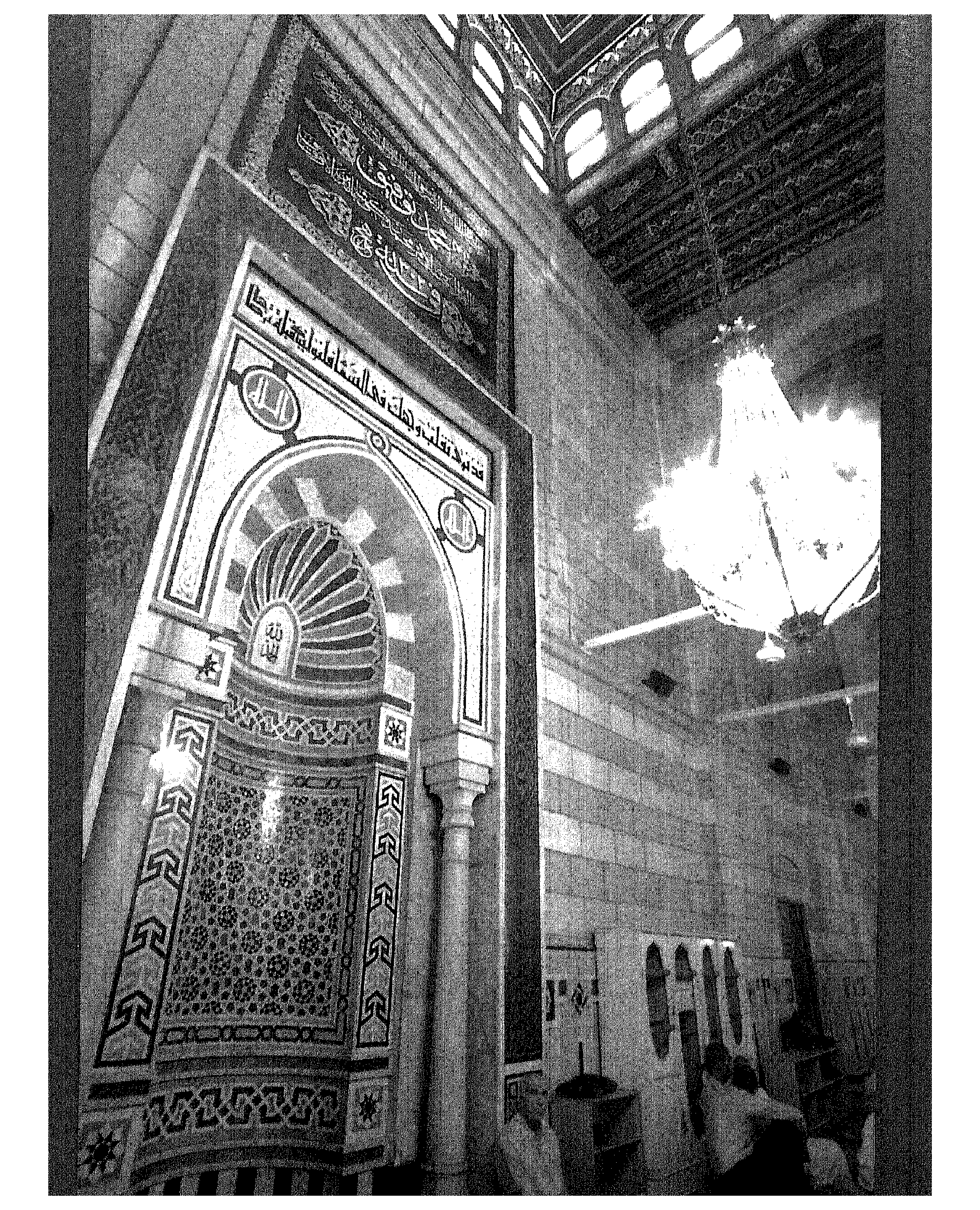


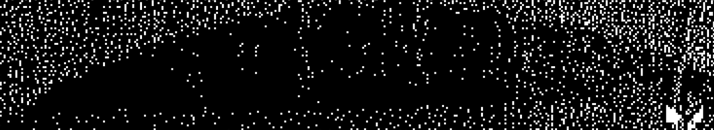


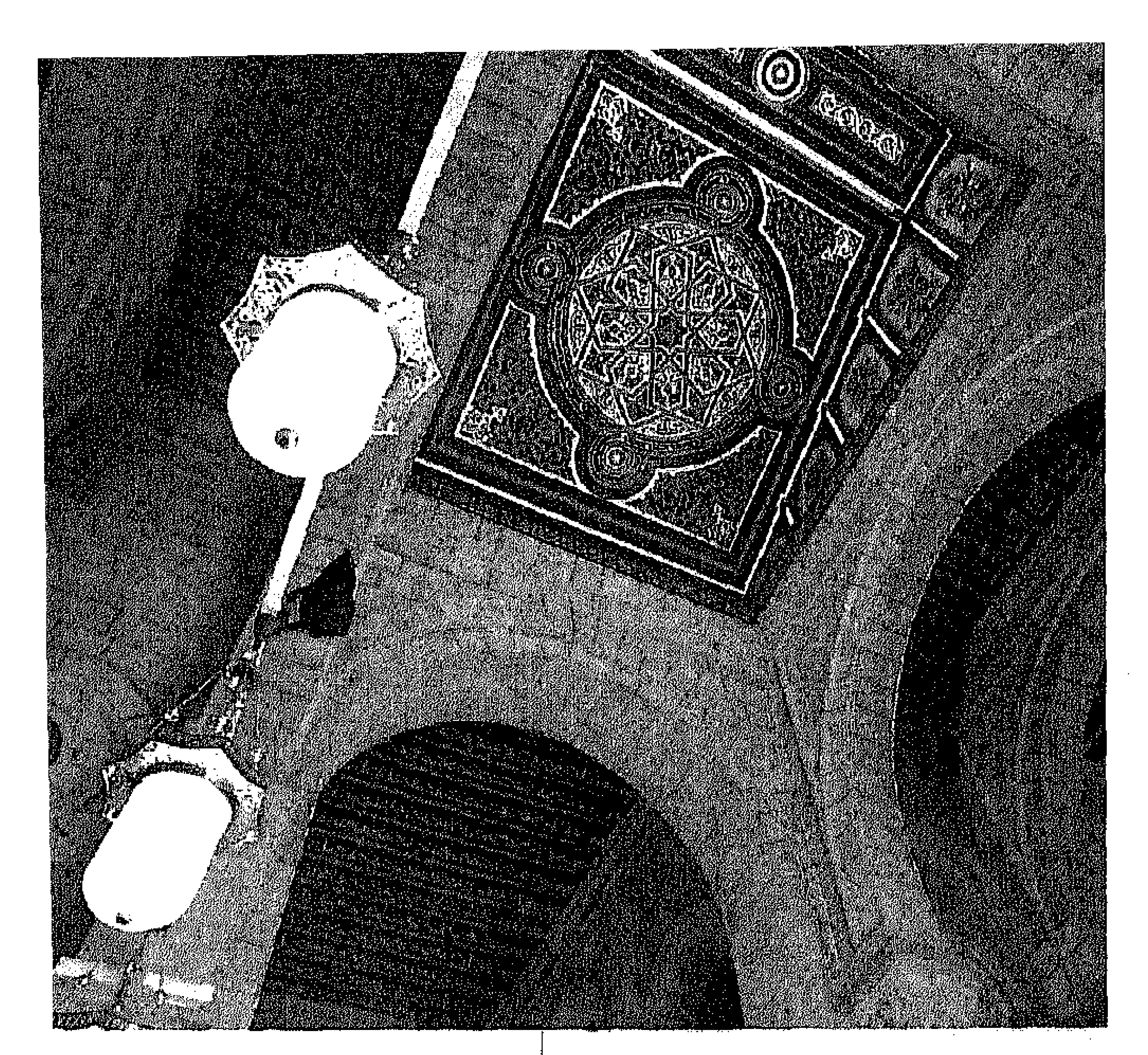


الأخرى، حتى فاضت روحه الطاهرة سنة ٤٠ هجرية، ثم شيَّعت شقيقها الحسن عام ٤٩ هجرية، دفُن فى البقيع، وقيل إن معاوية دس له السم فى العسل، وهنا نقترب من أحد أكثر مشاهد التاريخ الإسلامى مأساويةً، إلى ما جرى فى كربلاء فى العاشر من محرم استُشهدَ الحسين وهو يحارب فى نفر قليل من صحبه، وبعد انتهاء المعركة سيقت السيدة زينب حفيدةُ الرسول صلى اللَّه عليه وسلم بين السبايا، وبين يديها الطفل زين العابدين، الذكر الوحيد الباقى من نسل سيدنا الحسين، وعند مرورها بأشلاء القتلى صاحت زينب:

"يا محمداه، صلت عليك ملائكة السماء، هذا الحسين بالعراء، مُرمَّلٌ بالدماء، مُقطَّع الأعضاء، يا محمداه هذه بناتُك سبايا وذريتُك مقتَّلة تشقى عليها".





انتهى بها الأمر إلى بيت عبد اللَّه بن زياد أى دار الإمارة، إمارة الكوفة، وهناك جرى مشهد تقشعر له الأبدان، إذ أحضر رءوس القتلي، وأخذ ينكث بقضيب بين ثنيتى الإمام الحسين، فأحتج عليه زيد بن الأرقم.

تقدمت السيدة زينب فى مهابة. جلست قبل أن يؤذن لها، وعندما سأل ابن زياد: من تكون ؟.

- لم تجب !!

أعاد السؤال مرتين وثلاثاً وهى صامتة فى كبرياء الحزن الرفيع، إحتقاراً له واستصغاراً لشأنه، أجابت خادمة لها عنها :

"هذه زينب ابنة فاطمة.."

قال ابن زياد وقد غاظه ما كان منها:

"الحمد للَّه الذى فضحكم وقتلكم وأكذب أحدوثتكم"

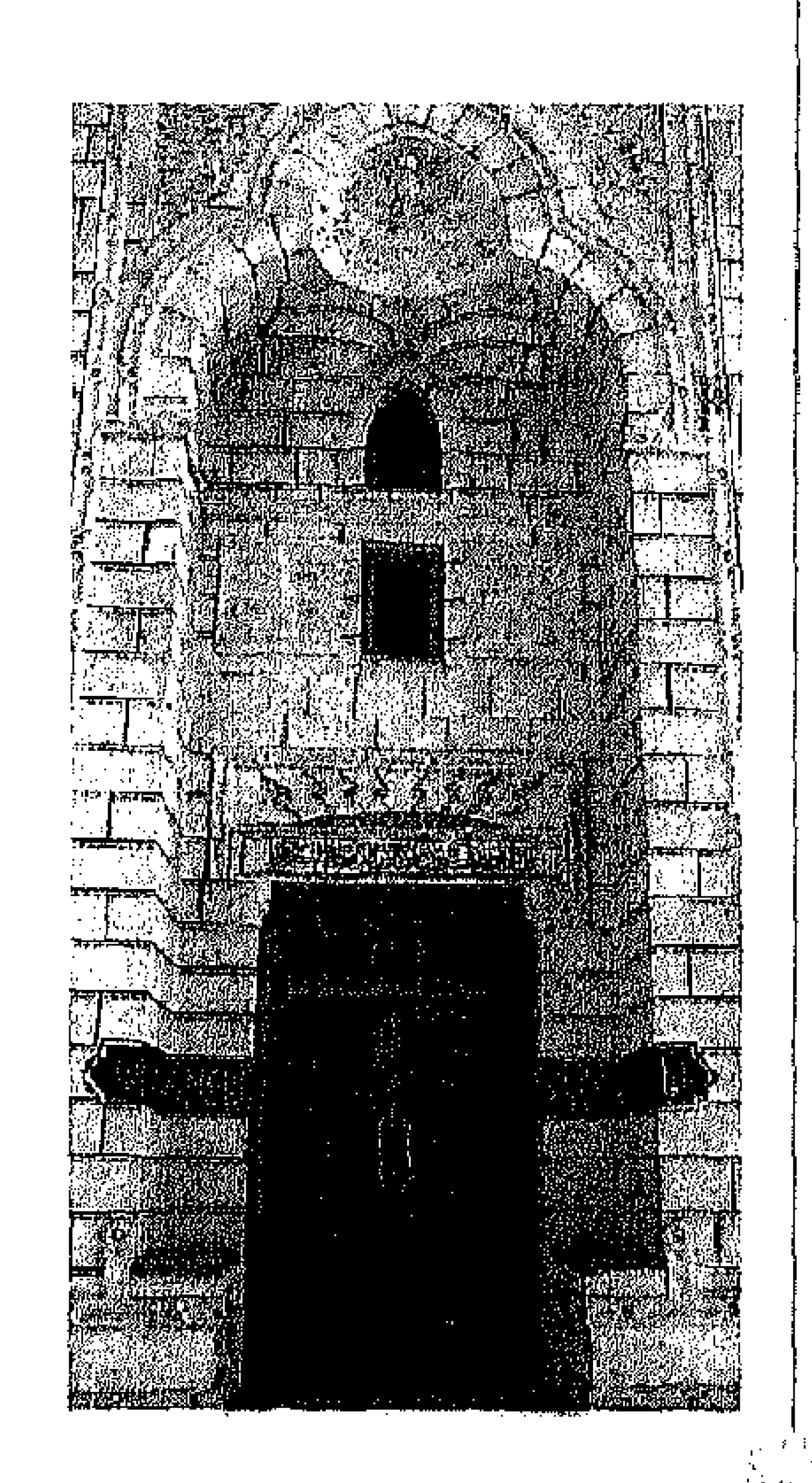
فردت عليه بشجاعة، غير هيَّابة

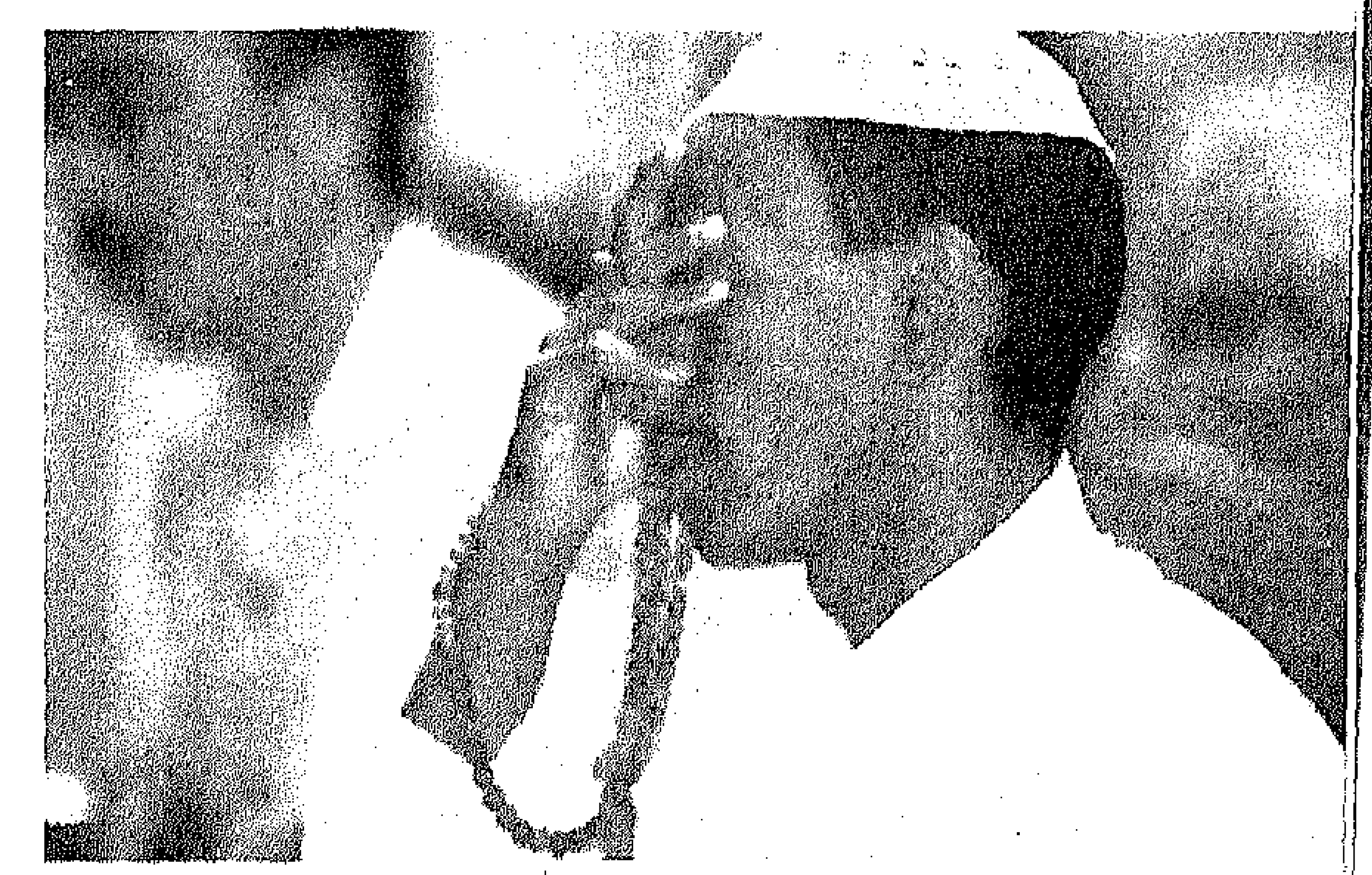
"الحمد للَّه الذى أكرمنا بنبيه صلى اللَّه عليه وآله وطهَّرنا من الرجس تطهيراً، لا كما تقول أنت، إنما يفضح الفاسق ويكذب الفاجر وهو غيرنا والحمد للَّه"

حوار مؤلم...، بلغ ذروته.. عندما لمح بنظره على بن الحسين، فأنكر بقاءه حياً، فأمر به (ابن زياد) أن يقتل، فاعترضته عمته (زينب) وهى تقول: يا ابن زياد، حسبك منا، أما رويت من دمائنا، وهل أبقيت منا أحد.؟؟

انحنت على الغلام واحتضنته. فإما أن يدع الغلام أو فليقتلهما معاً، عندئذ قال ابن زياد لصحبه:

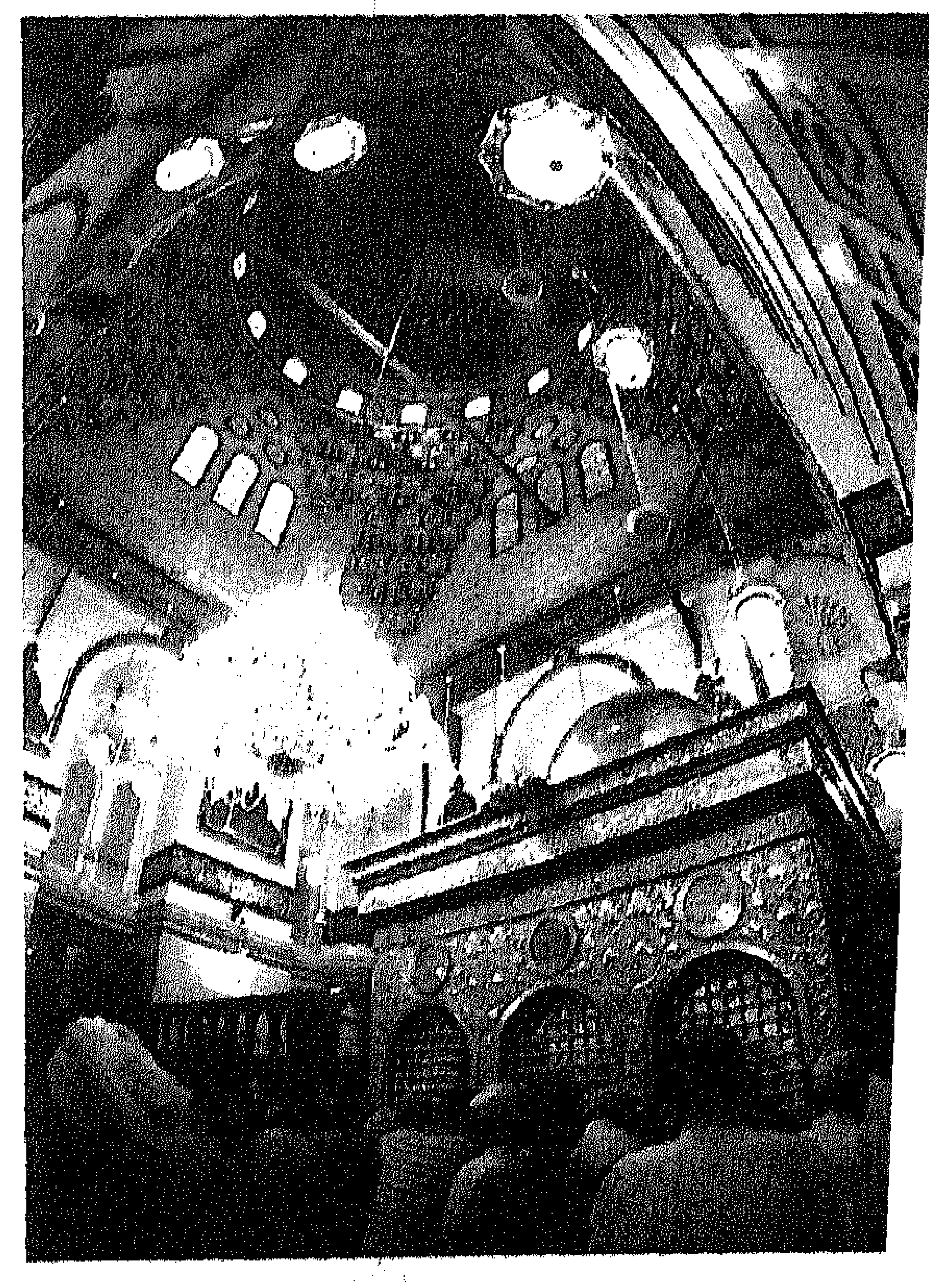
"عجباً للرحم واللَّه إنى لأظنها ودت لو أنى أقتلها معه، دعوا الغلام ينطلق مع نسائه".





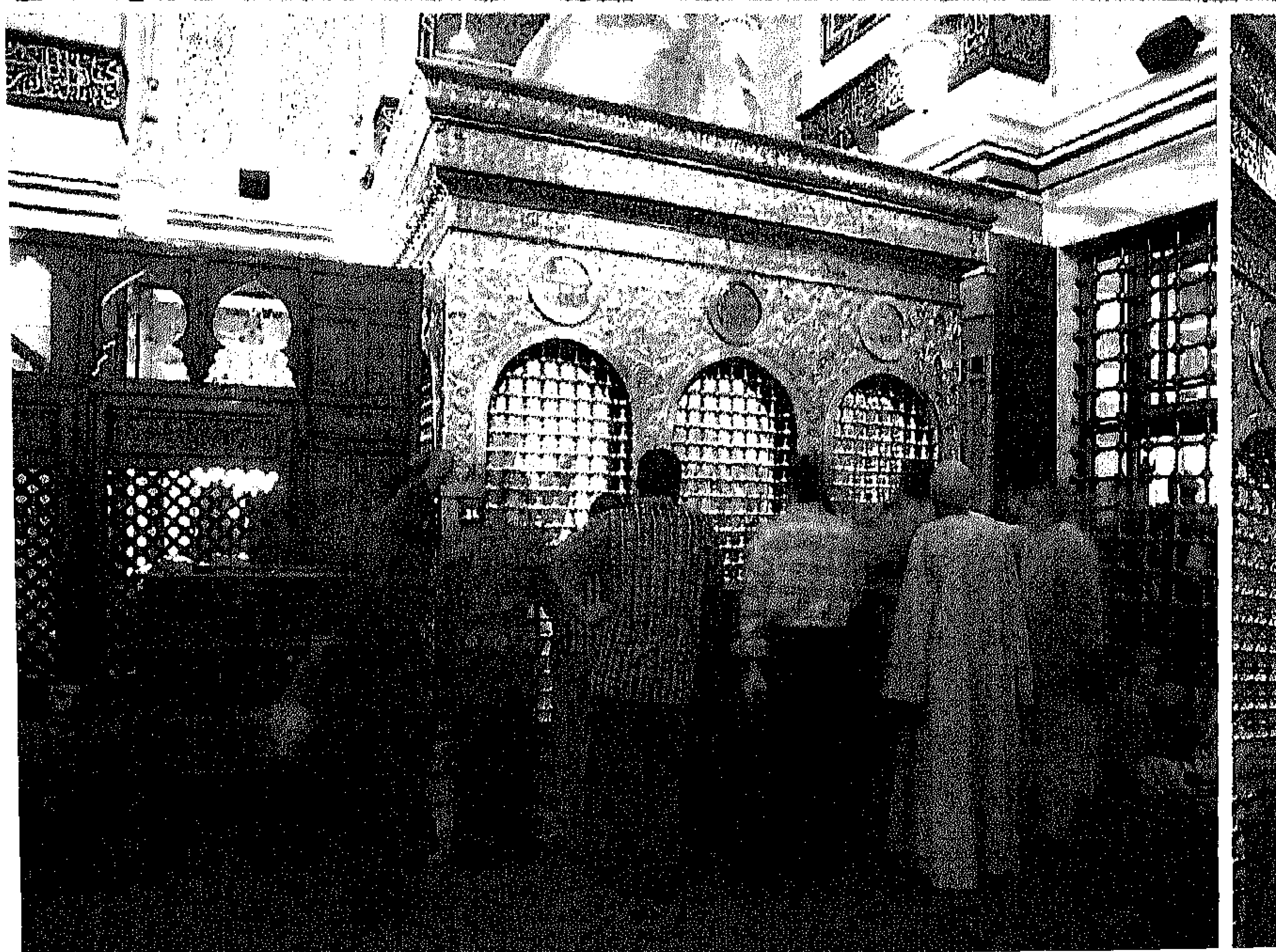
أمر بتقييد يدى على زين العابدين بن سيدنا الحسين. تحتفظ مصادر التاريخ الكبرى بوصف ركب السبايا الذى سيق إلى دمشق، حيث وصلوا إلى بلاط "يزيد بن معاوية" تقول بعض المصادر إنه عندما رأى رأس الحسين دمعت عيناه، قال "قد كنت أرضى من طاعتكم بما دون قتل الحسين، لعن اللّه بن مرجانة"

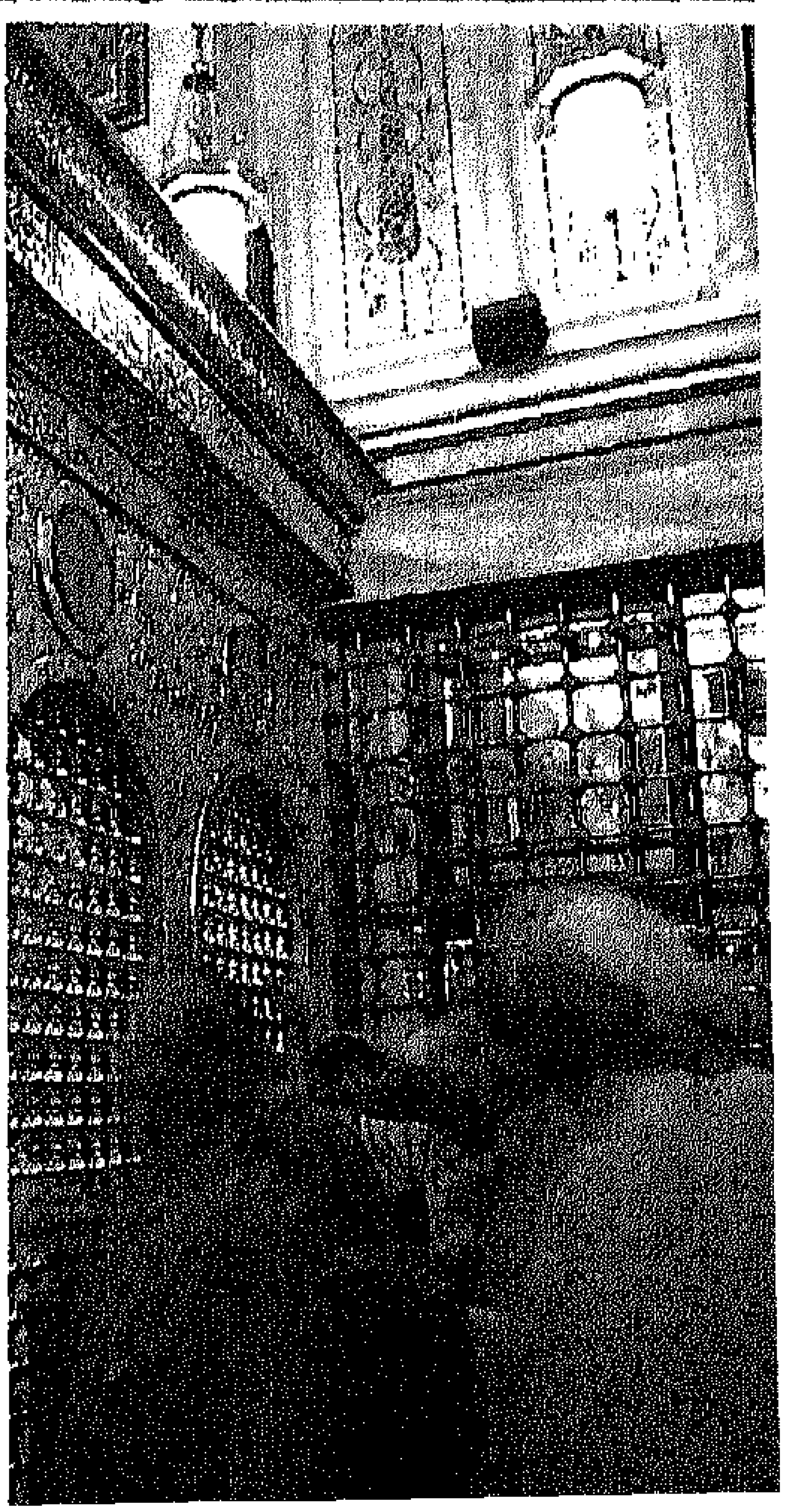
ثم أمر بإدخال الأسرى والسبايا ودار بينه وبين السيدة زينب حديثٌ طويل ختمته أم هاشم، بقولها: "أظننت يا يزيد حين أُخِذ علينا بأطراف الأرض وأكتاف السماء فأصبحنا نُساق كما تُساق الأسرى، أن بنا هوانا على اللّه ، وأن بك عليه كرامة؟"



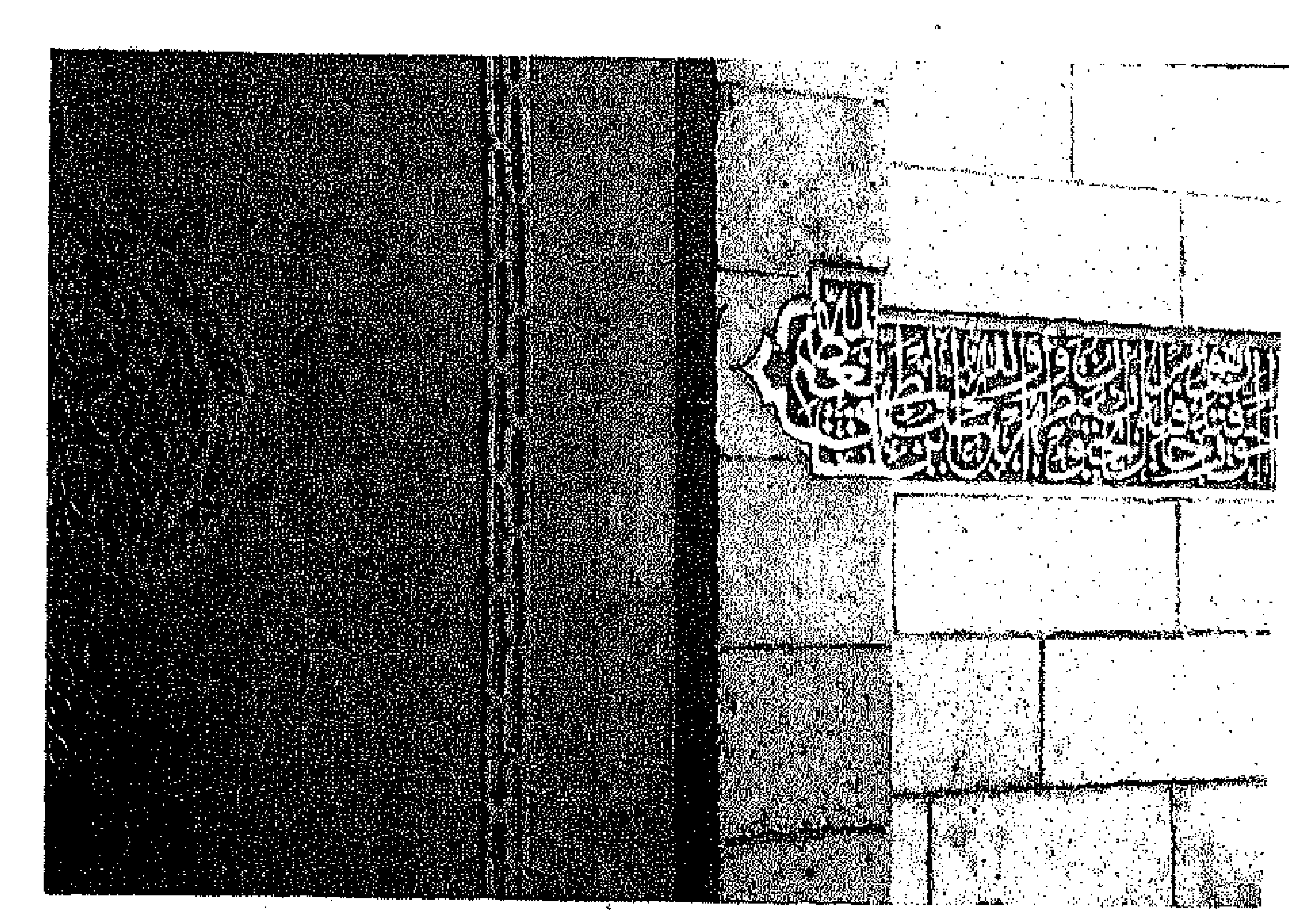
أمر يزيد بن معاوية بترحيل زينب وأهلها إلى المدينة المنورة، لسكنها فلم تستقر طويلاً بالمدينة المنورة، مجرد وجودها كان يلهب المشاعر، ويخيف بنى أمية، طلب منها والى المدينة أن تخرج إلى أى جهة تشاء الإقامةَ بها، فاختارت السيدة زينب مصر، ورحلت إليها، فوصلتها فى شعبان عام واحد وستين من الهجرة.

واستقبلت مصر أم هاشم كما يليق بها، فتفاصيل ما جرى كانت معروفة عند القوم، وتأهب المصريون لاستقبال رمز الأمومة والتضحية والشجاعة، حفيدة رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم. خرج الآلاف إلى حدود مصر يتقدمهم مسيلمة بن مخلد الأنصارى والى مصر، صحبها ركب مهيب، وهكذا كانت هى أول من يخطو بقدميها الشريفتين وبصحبتها على زين العابدين ابن سيدنا ومولانا الحسين من العترة الطاهرة تراب مصر، انزلها المصريون مكاناً علياً، ليس فى





المكان فحسب، إنما فى قلوبهم وضمائرهم، أقامت بالفسطاط حوالى العام، حتى أسلمت روحها إلى بارئها، ودُفنت حيث مرقدها الآن، ولكنها بالنسبة للمصريين أقامت فى قلوبهم، يفنى قلب فيقوم مرقدها فى قلب آخر، وشيئاً فشيئاً أصبحت مركزاً مشعاً للطمأنينة، والحماية، وأمّاً للعاجزين، وملاذاً للمساكين المستضعفين.

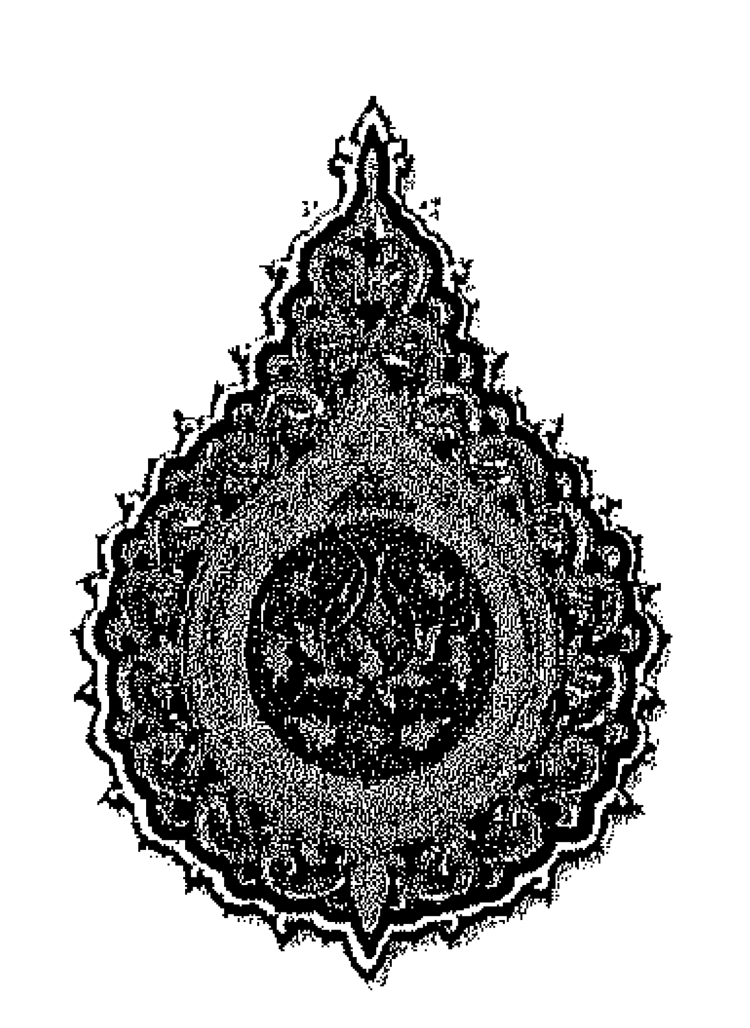


هذا ما يجب أن نعرفَه ونلمَّ به. قبل أن نلجَ مسجدها لنؤدى فروضَ الزيارة.

* * *

ما بين قيام الوزير العثمانى على باشا سنة ٩٥٦هجرية بتعمير المرقد، وما بين الزمن الحالى الذى نعيش فيه تمت عدة عمليات لتعمير وتوسعة المسجد آخرُها ما تم إنجازُه خلالَ العام الحالى، عام ١٤٢١ هجرية، وما بين القرنِ العاشرِ، وبداية القرن الحادى والعشرين يمكن القول أن المرقد والمسجد تضاعفا عدة مرات. كان خليج



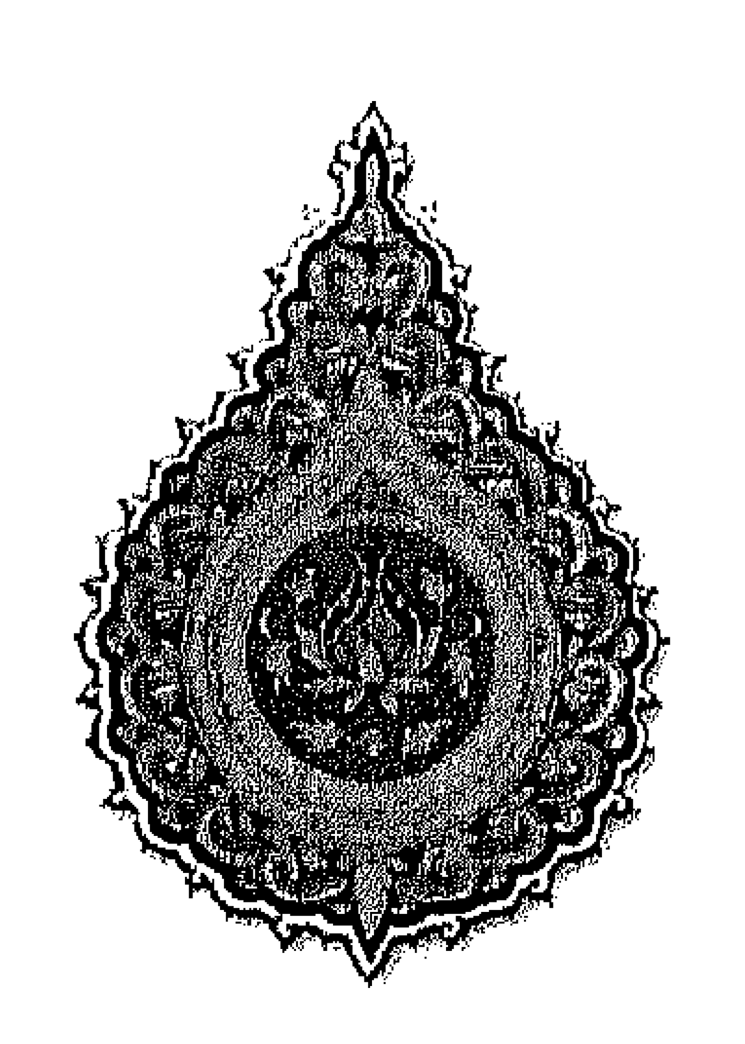


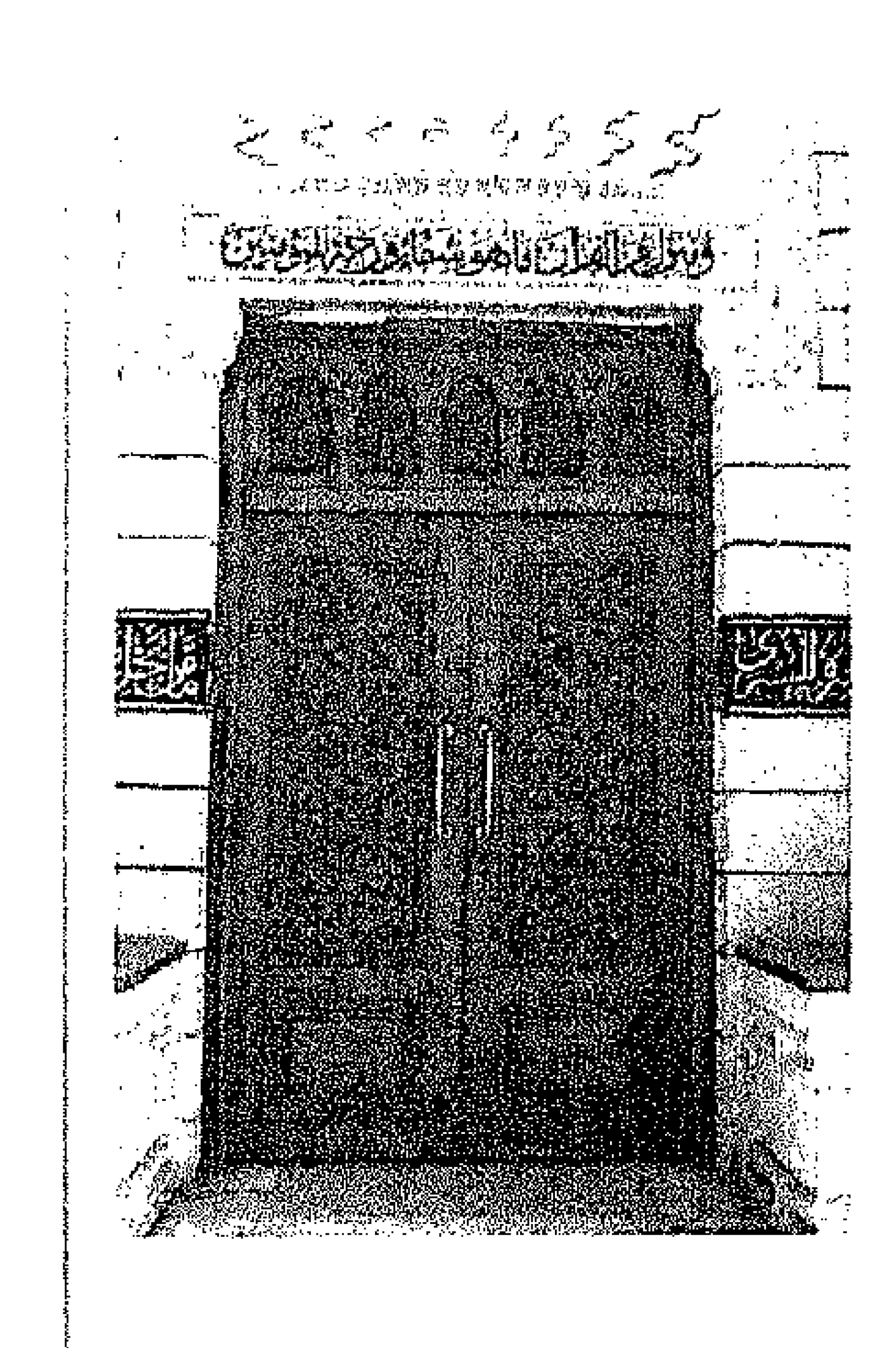




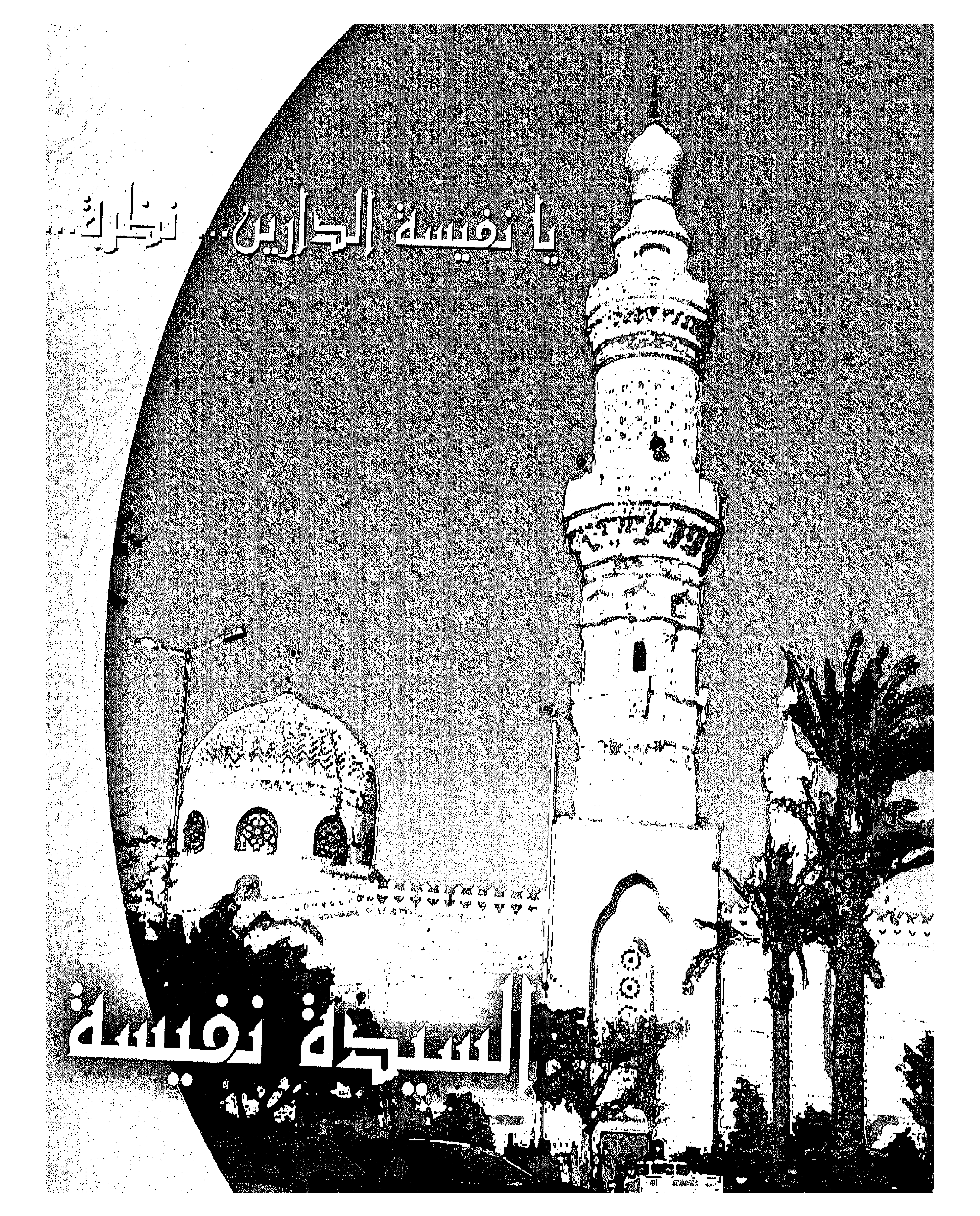
القاهرة يمر بالميدان حتى بداية القرن التاسع عشر، وكان المكان قبل ذلك يُعرف بقناطر السباع، إذ كانت توجد قنطرة فوق الخليج، تحمل شارةَ الظاهر بيبرس البندقدارى وهى عبارة عن أسد، مع ردم الخليج اختفت القنطرة، واتسع الميدان، وخلال توسعة الميدان تم اكتشاف واجهة جامع السيدة زينب الذى جدده على باشا، ثم أعاد تجديده الأمير عبد الرحمن كتخدا (سنة ١٠٠ هجرية)، منذ هذه اللحظة بدأ المكان يُعرف بميدان السيدة زينب.

فى سنة (١٩٤٠ ميلادية) من القرن الماضى، أقامت وزارة الأوقاف المصرية المسجد الموجود حالياً، ويتكوّن من سبعة أروقة موازية للقبلة، يتوسطها صحن مربع، مغطي بقبة، يقابلها قبة أخرى تحتها ضريح السيدة زينب . ويوجد ضريحٌ لسيدى القديس، شقيق سيدى ابراهيم الدسوقى ، والشيخ أبو ابراهيم عبد الرحمن

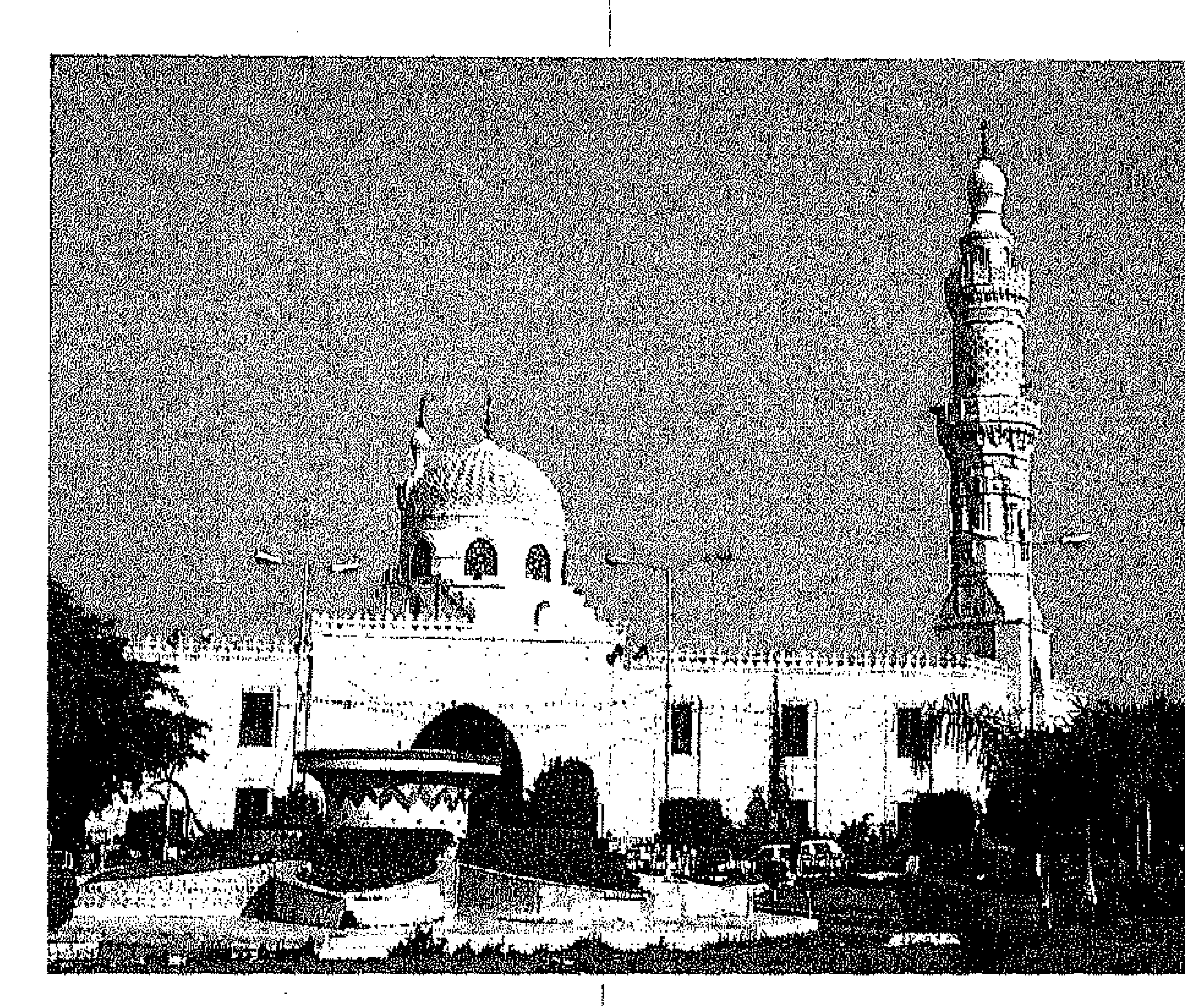




العيدروس، فى سنة (١٩٦٩ ميلادية)، تم توسعة المسجد، أضيفت إليه مساحة توازى المساحة الأصلية، وتبدو هذه الإضافة كأنها مسجد قائم بذاته، لذلك أقيم به محراب، مع الإبقاء على المحراب القديم.. وخلالَ السنوات الثلاث الأخيرة أضيفت مساحة فسيحة إلى المسجد بحيث أصبح ضِعفَ حجمه الذى كان عليه بعد توسعة عام ١٩٦٩، وقد روعى فى جميع الإضافات أن تكون مُماثلة للبناء الأصلى، وقد أهدت طائفة البهرة مقصورة من الفضة المكتوب عليها آيات قرآنية بالذهب الخالص لتحيط مرقد عقيلة "بنى هاشم"، أو كما يعرفها المصريون "أم هاشم"، نصيرة الضعفاء وملاذهم من كل ظلم وجور.


يا نفيسة الدارين... نظرة...
السيدة نفيسة

إنها "نفيسة العِلم"

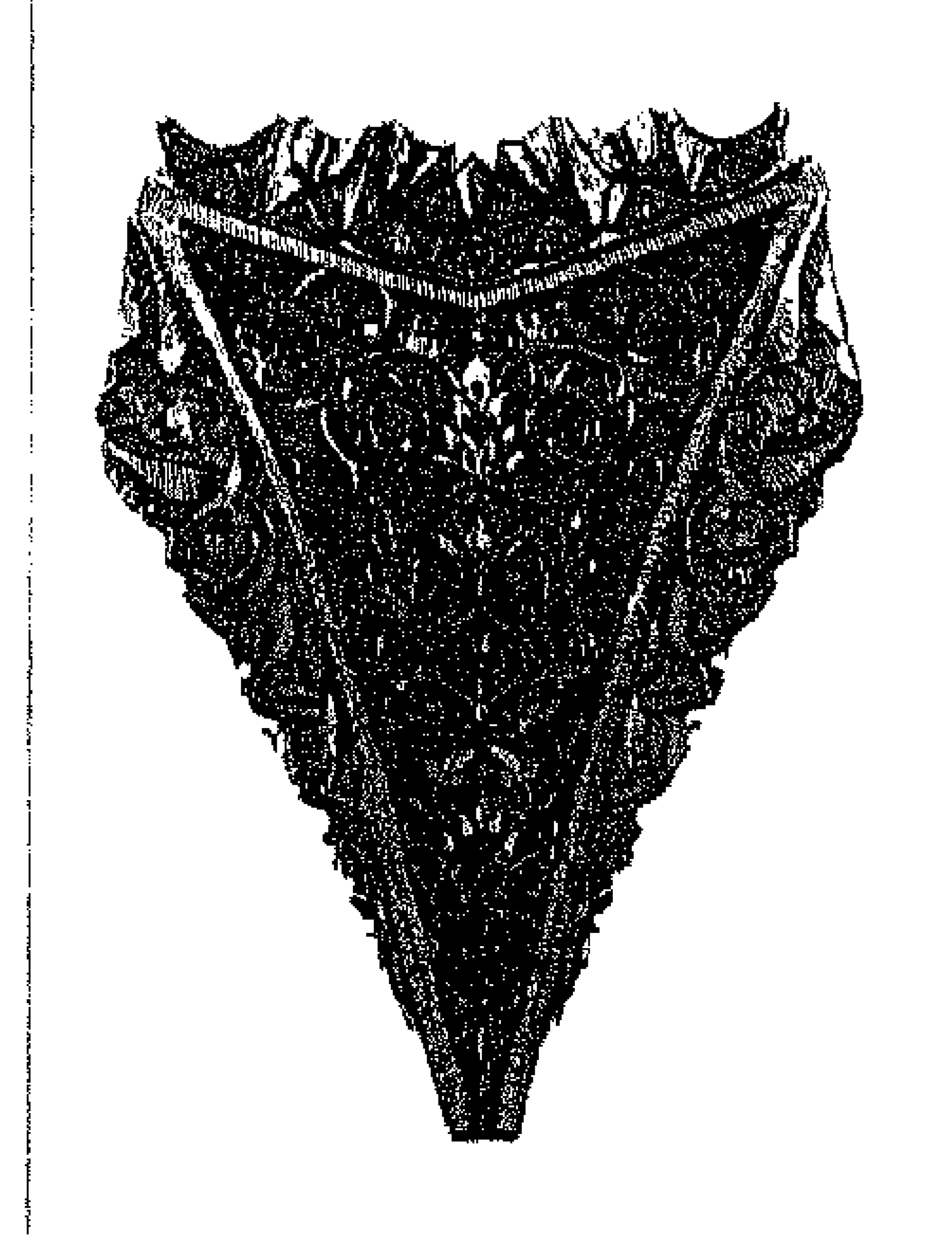


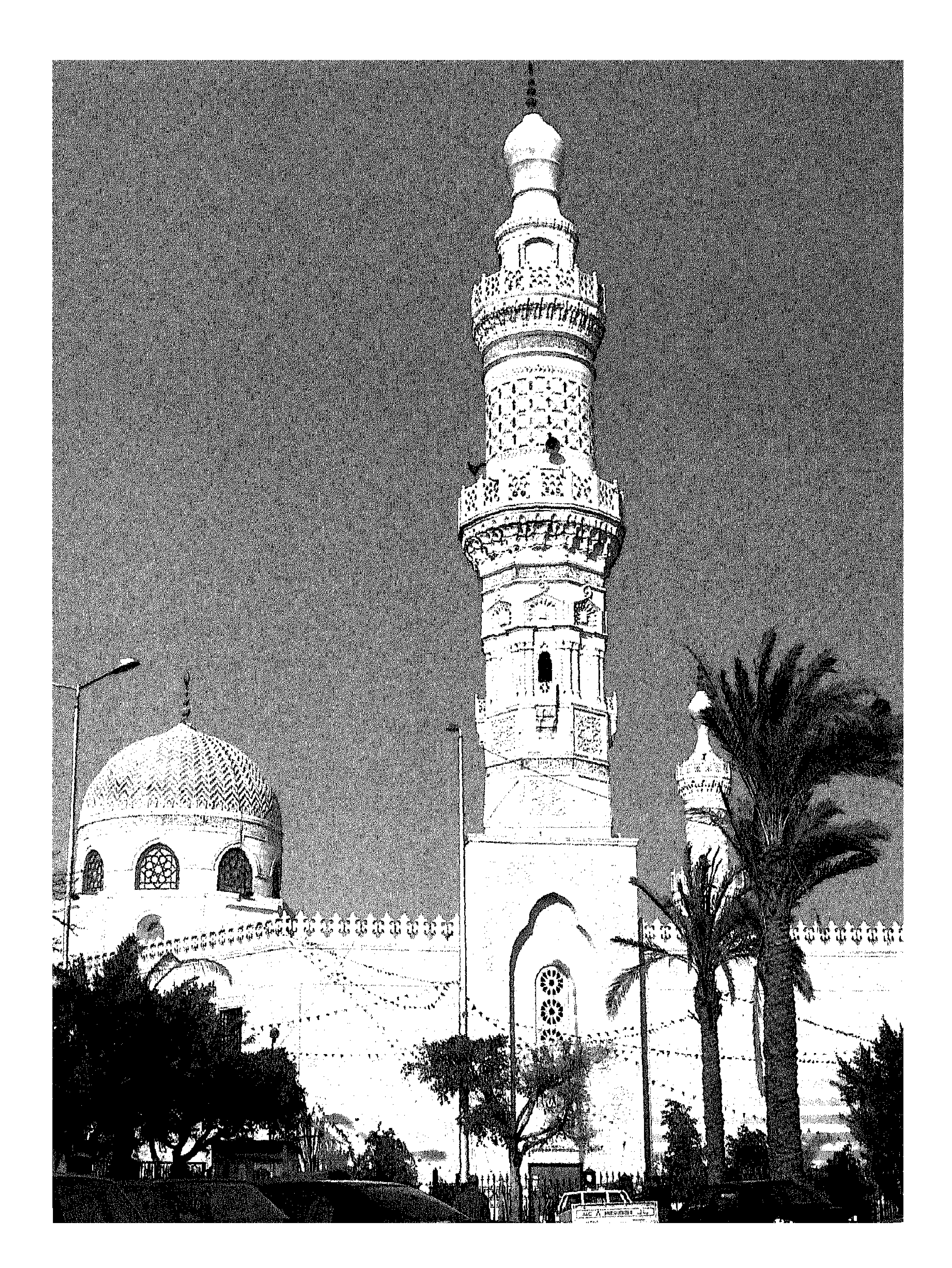
أو .. "نفيسة الطاهرة" أو "نفيسة الدارين" أو "نفيسة المصريين"، هكذا يعرفها المصريون الآن وعبر القرون الخوالى منذ قدومها من الحجاز إلى مصر، دخلتها يوم السبت الموافق السادس والعشرين من رمضان سنة (١٩٣ هجرية)، ومنذ ذلك الحين استقرت فى قلوب الناس وأفئدتهم، اقترن اسمها بالصلاح والتقوى والعلم. ويُطلق على منطقة فسيحة شهدت تطوراً كبيراً خلال السنوات الماضية بمبادرات خاصة من محبيها ومريديها. اسمها علامة على مكان، تماماً مثل سيدنا الحسين، والسيدة زينب، وبذلك تتوزع مراقد آل البيت لتحدث ذلك التوازن الروحى فى المدينة وسكانها، ولتصبح أيضاً علامةً على مكان وزمان.

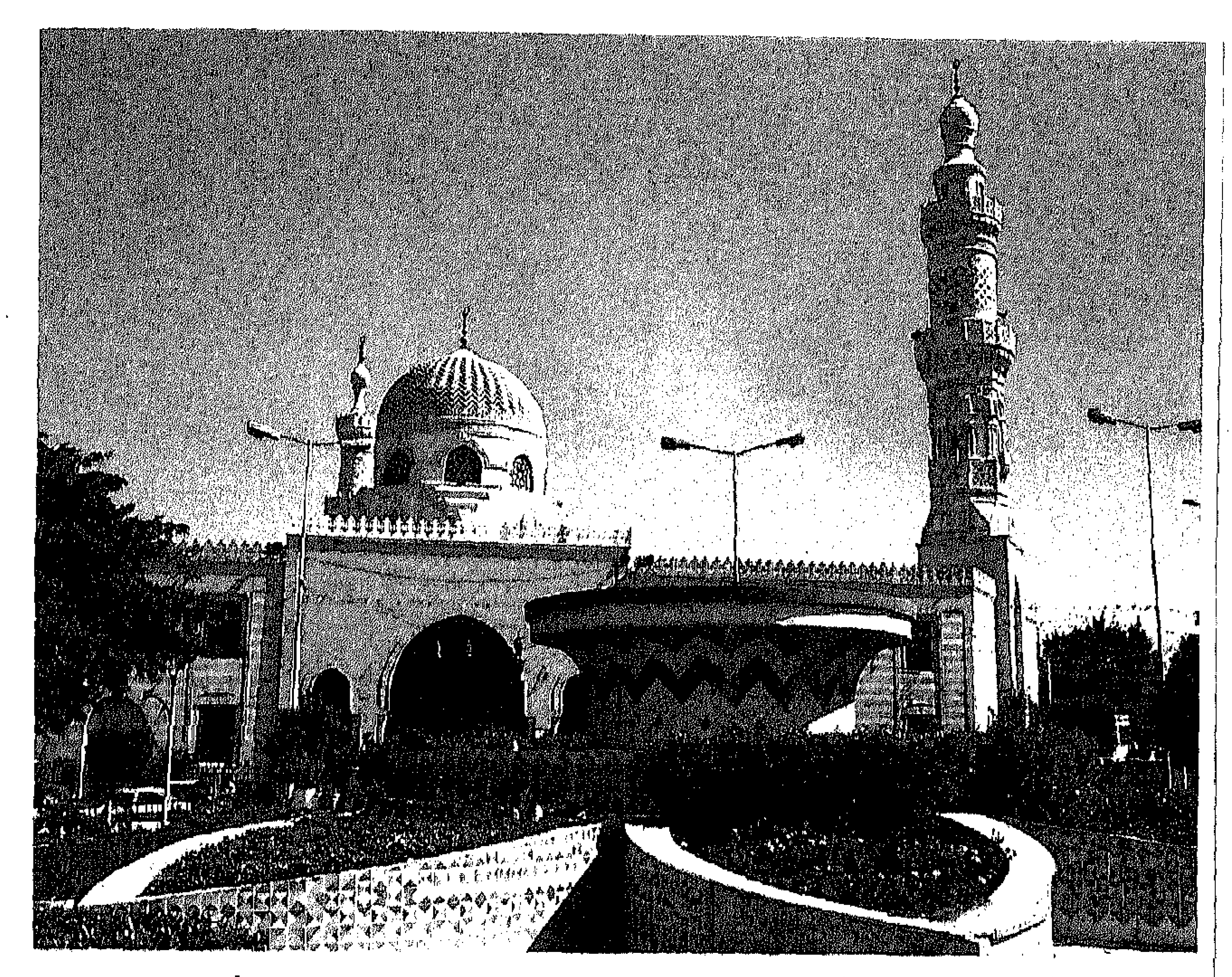
يقترِن اسمُها عند المصريينَ بالورع والزُّهد والتقوى والقدرة، هى النحيلة، ذات الجسد الواهن، لكنها المشعة بتقواها، وإيمانها وعملها، والعلم صفتها الأولى وسر منزلتها الرفيعة؛ ويعكس ذلك منزلة المرأة عند المصريين باعتبارها رمزاً للأمومة، ولأنها محل التكوين، والمربية، والعالمة أيضاً.

عرفت مرقدها منذ طفولتى، مثل أى قاهرى يشب على حب آل البيت ويسعى منذ عمره المبكر بصحبة أهله لزيارة مراقدهم ويتعلم قراءة الفاتحة أمام أضرحتهم... فى الخمسينيات كان مرقدها يبدو على أطراف المدينة، قريباً من جبل المقطم، وسط المقابر حيث أضرحة الخلفاء العباسيين، على مقربة منها مرقد السيدة سكينة بنت الحسين، يرتبط ضريحها بالريحان، كان مزروعاً حول مسجدها الذى يطل على ميدان فسيح ينتهى بربوة تقوم عليها الآن مساكن.

عادةً ما تسود الوحشة الأماكن المرتبطة بالقبور، يسود الهدوء نهاراً، وينقطع الخلق عن الطرقات التى يصطف على جانبيها مراقد سكان الأبدية، ينطبق هذا على المقابر جميعها المحيطة بحدود القاهرة القديمة. عدا المنطقة التى يقع فيها مرقد



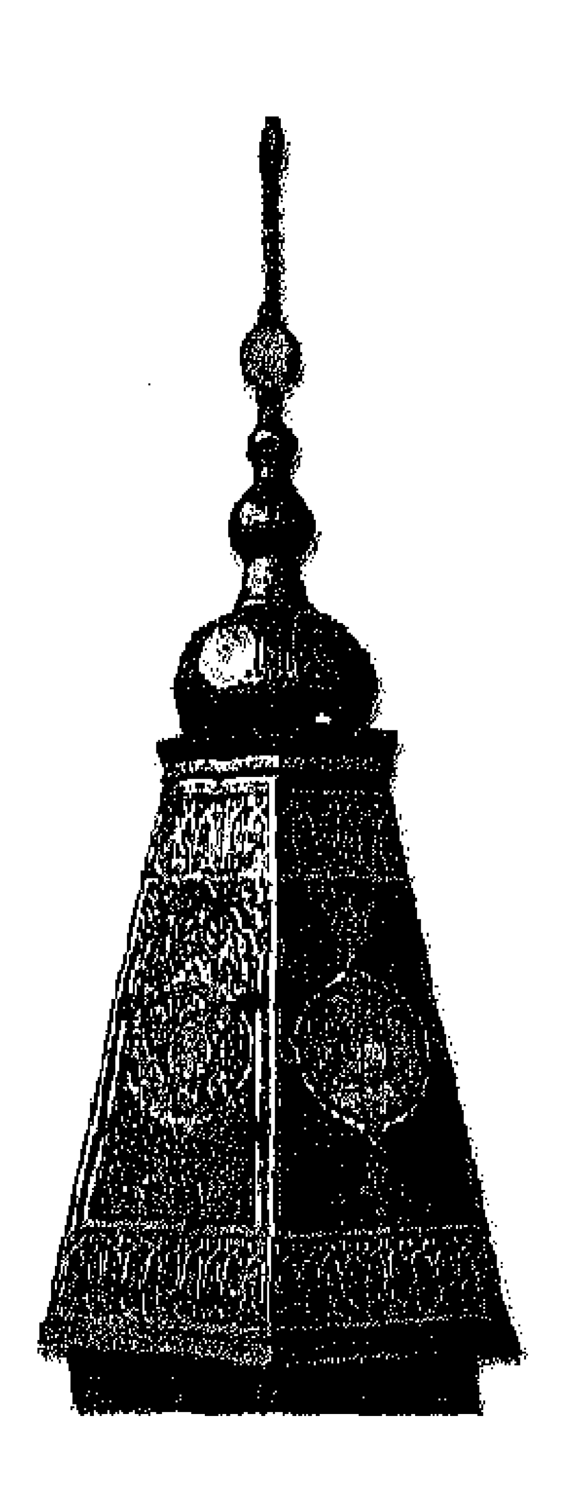




ومسجد السيـدة نفيسة، طوال الليل لا تكف الحركة ولا تختفى معالمُ الحياة، حول المسجد مقاه تغص بالزبائن، لقضاء بعض الوقت ليـلاً أو نهارا بجوار مرقد السيدة الطاهرة "نفيسة". مريدوها من مختلف فئات المجتمع، يتجاور فى حضرتها الوزير مع الخفير، الثرى مع الفقير، وحول المكان كلِّه تخيم المساواة وتبسط السكينة ظلالها.

لنفيـسة الدارين... أكـثر من حـضور، الأول تاريخى، توثِّقـه المراجع التاريخـية، يقول ..أن أباهـا هو السيـد "حسن الأنور" بن زيد الأبلج بن الحسن بن على بن أبى طالب، كـان عـالماً، جليـلاً، من كبـار أهل البيت، وَلِى المدينة المـنورة من قبـل أميـر المؤمنين "أبى جـعفر" المنصـور خمس سنوات، أنجب أحـد عشرَ طفـلاً، بذلك يكون للسيدة نفـيسة عشرة أخـوة هم: أبو القاسم و محمد وعلى و إبراهيم و زيد وعُـبيد اللّه ويحيى المتـوج بالأنوار وإسماعيل وإسـحق وأم كلثوم . أمهم تعـرف بأم سلمة زينب بنت الحسن المثنى ابن الحسن السبْط.

تزوجت من اسحق المؤتمن، عقد القرآن يوم الجـمعة الخامس من شهر رجب سنة (١٦١ هجـرية)، وكـان عـمرهـا إذ ذاك خمس عـشـرة سنة وثلاثة شهـور وأربعـةُ



وعشرون يوماً، واسحق زوجها هو ابن جعفر الصادق، وكان من الثقاة فى رواية الحديث، وبزواجها التقى عطر الدوحة الحسنية بالعطر الحسينى. فالسيدة نفيسة من نسل الحسن. واسحق المؤتمن حسينى، وقد أنجبت منه أبا القاسم، وأمَ كلثوم.

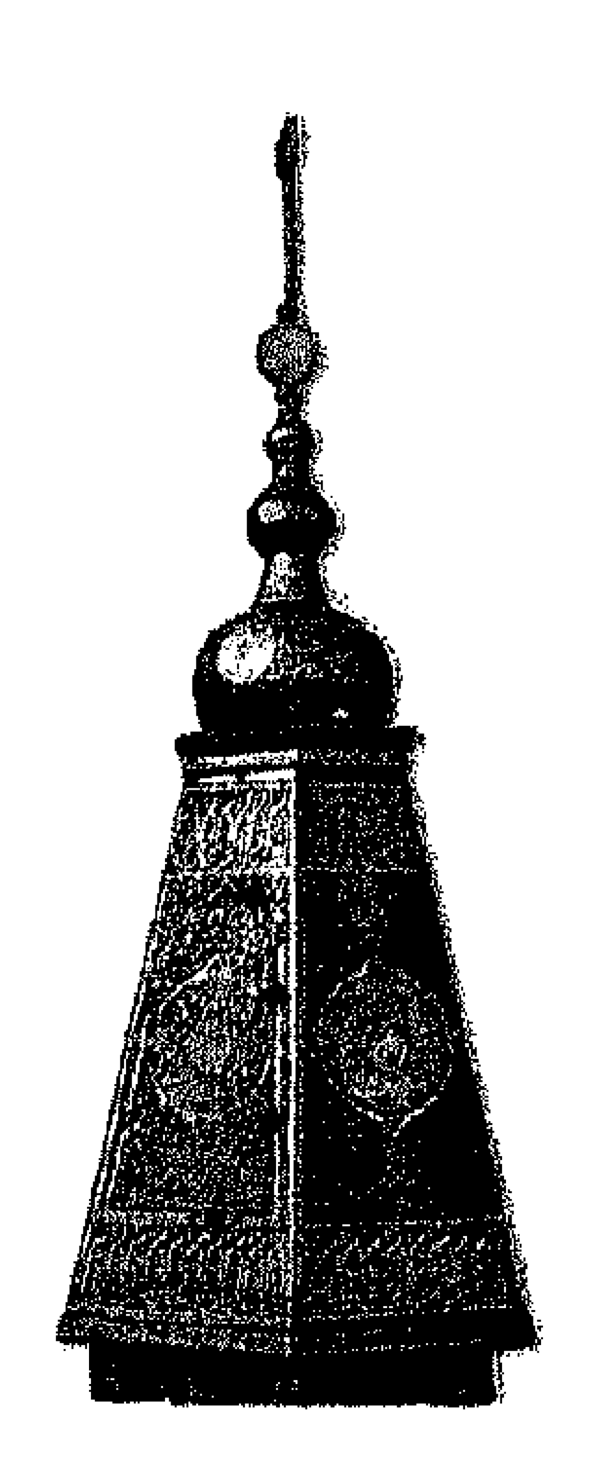
وعندما تأهبت لمغادرة مكة إلى المدينة، قالت:-

" اللَّهم كما أخرجتنى من أحب البلاد إلىَّ فأسكنىِّ فى أحب البلاد إليك"

فى مكة تلقت العلم على يدى والدها، وتكون أساس رعيل عبر الأماكن المقدسة، البيت الحرام، بيت جدتها السيدة فاطمة الزهراء، مواضعُ عاش فيها الصحابة والتابعون، فى مكة تعلمت القراءة والكتابة بين السادسة والسابعة، وفى هذه السن المبكرة قرأت القرآن بانتظام حتى تم لها حفظه، عندما انتقلت إلى المدينة المنورة لم تدر أن إقامتها تلك ستكون موقوتة، كان عمرها عندما دخلتها عشرين عاماً، وفى حياتها أتمت عشرين حجة، معظمها ماشية على قدميها. تقول زينب بنت يحيى المتوج: خدمت عمتي السيدة نفيسة أربعين فما رأيتها نامت بليل ولا أفطرت بنهار، ولا العيدين وأيام التشريق، فقالت لها : أما ترفقين بنفسك ؟ ... (فقالت: كيف أرفق بنفسى وقدامي عقبات لا يقطعها إلا الفائزون)..

فى المدينة تحضرُ مجالس الإمام مالك بن أنس العلمية، تأخذ منه وتضيف إلى ما تعلمته فى مكة، فيشتهر أمرها وتُلقَّب بنفيسة العلم والمعرفة، بعد زيارتها لضريح الخليل إبراهيم عليه السلاَم قَدمت إلى مصرَ بصحبة زوجها، جاءت تسبقها سمعتها، نزلت فى دار صغيرة، تزاحم عليها الناس طلباً لعلمها، وللتبرك بها، صار موضعها مقصداً للراحة، حتى شرعت مع زوجها فى الإعداد للرحيل إلى مكة طلباً للهدوء حتى تتفرغ للعبادة، تجمع المراجع التاريخية. إنها رأت الرسول فى المنام تلك الليلة يطلب منها البقاء فى مصر.

وعندما استيقظت متأثرة بالرؤيا، قررت البقاء حتى الزمن الأخير فى مصرَ، وعندما جاءَها والي مصر السري بن الحكم الذى أرسله الخليفة المأمون لينوبَ عنه، جاءها زائراً وليطلب منها البقاءَ بعد أن علم برغبتها فى العودة إلى الحجاز، فوجىء بها تقول له إنها ستبقى حتى الموت وستدفن فى ترابها - ثم قالت له إنها إمرأة ضعيفة، والناس يتكاثرون عليها بما يفوق طاقتها- ولكن المكان صغير.



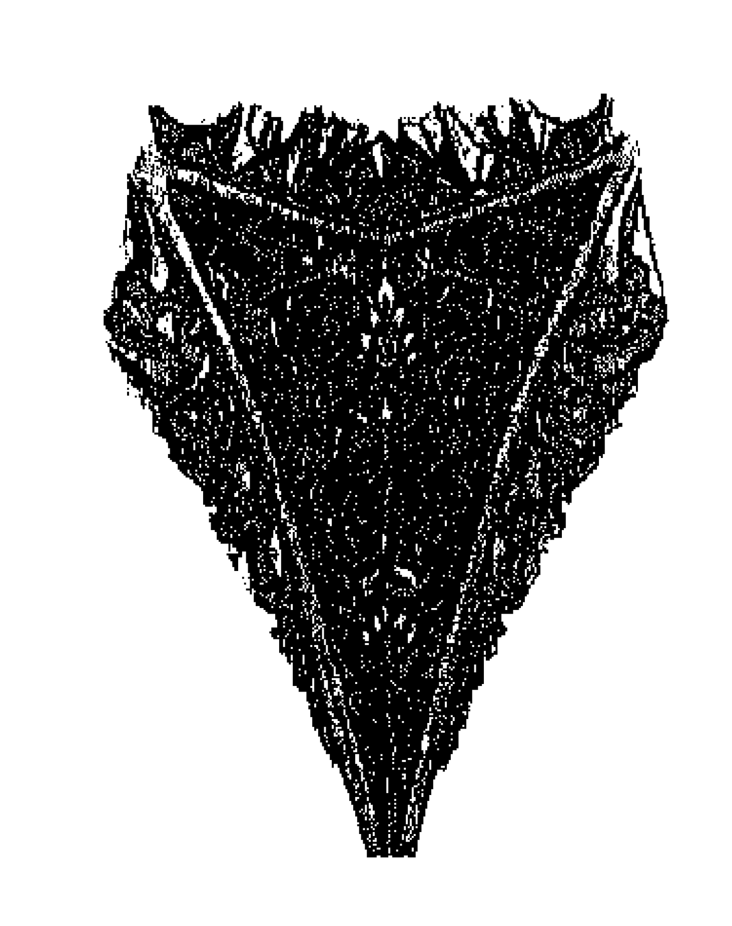


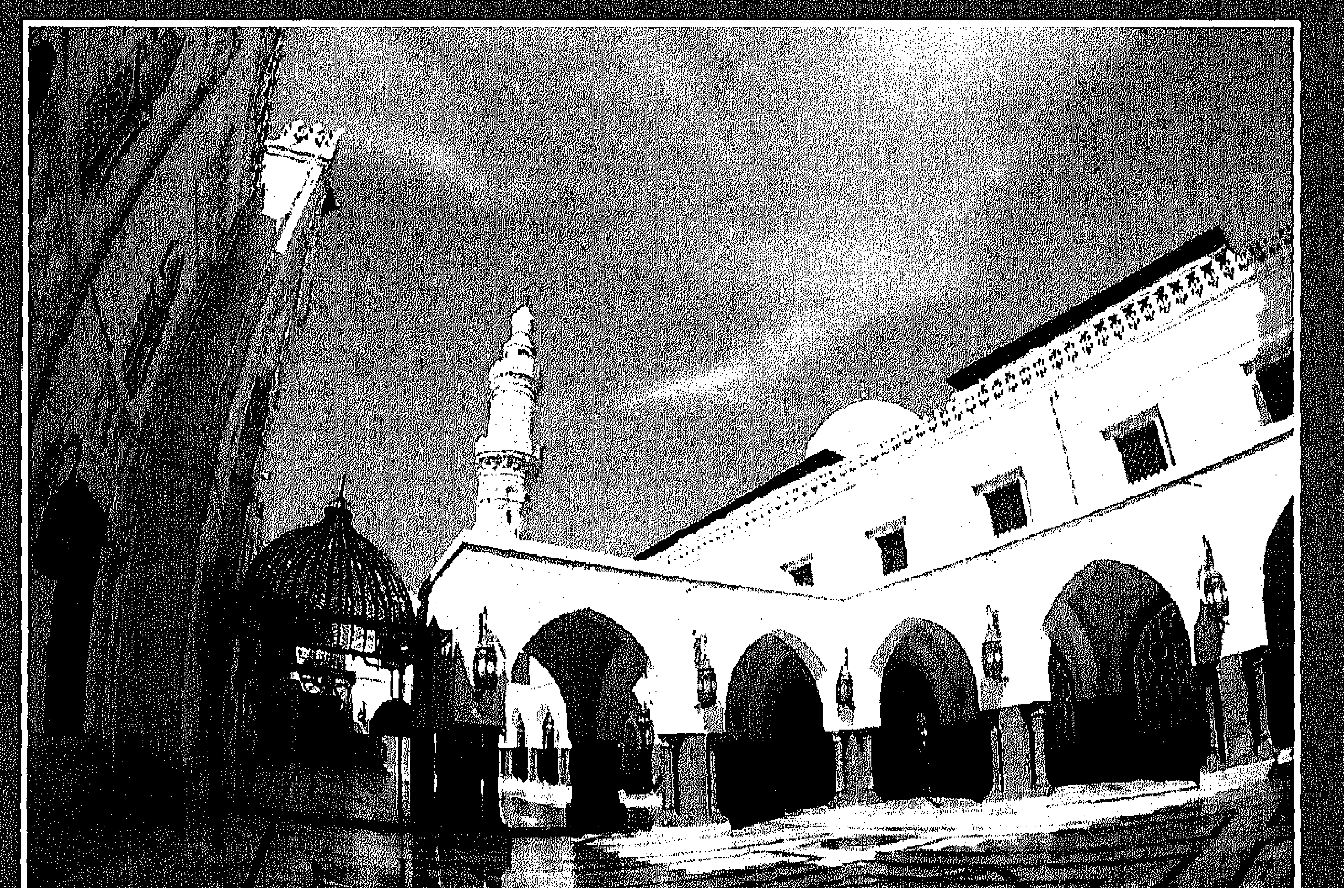
قال لها الوالي - إنه سيزيل كل ما يسبب شكواها، أما عن ضيق المكان فله دار واسعة بدرب السباع، وهبها لها وسألها القبول فقبلتها، أما عن جُموع الناس الزاحفة إليها يومياً فقد خصصت لهم يومين، السبت - والأربعاء، وبقية الأيام تتفرغ فيها لعبادة اللّه.

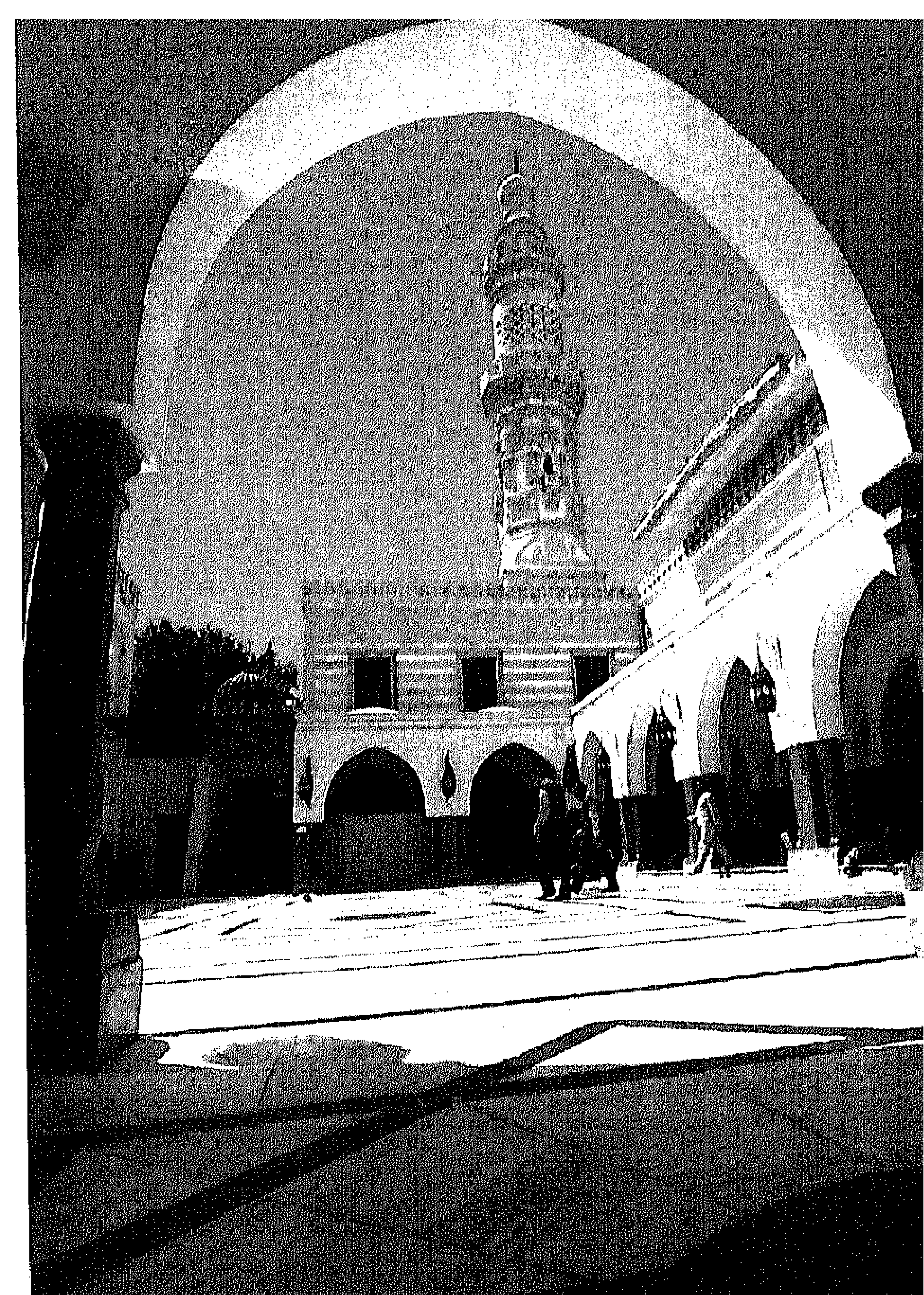
قَبِلت ما عرضَه الوالى ، وسرى النبأ بقرارها البقاء، وسماها الشعب بنفيسة المصرية، ابتهج القوم، ولم ينقطعوا عنها، وعندما شعرت بدنو الأجل، بدأت تحفر قبرها بيدها، وكانت تقيم مجالسَ العلم فى دارها بانتظام، أمضت فى مصر سبع سنوات وفى سنة (٢٠٨ هجرية)، أول جمعة فى رمضان بدأت تقرأ (سورة الأنعام) وكان الليل هادئاً فى تلك المنطقة النائية من المدينة ، وأثناء تلاوتها غشى عليها، فضمتها زينب ابنة أخيها إلى صدرها فشهدت شهادة الحق وفاضت رُوحُها إلي بارئها.

دفنت فى القبر الذى حفرته بنفسها داخل دارها، إنه نفس الموضع الذى يقوم حوله وفوقه مسجدها الآن، ولا خلاف بين المؤرخين حول موضع دفنها. بوفاة السيدة نفيسة- غربت شمس حياتها الدنيوية، انتهى حضورها المرئى، ليبدأ حضورها غير المرئى، الروحانى بين الناس والمستمر حتى يومنا هذا ، أشرقت شمس عِرفانها وحضورها الأبدى.

عند المصريينَ حوادثُ عديدة تُنسب إليها، إنهم يستجيرون بها من الظلم والشدائد، حتى أنهم ينسبون إليها ما لم يقع فى عصرها ، وهكذا يضعونها فى مواجهة الوالى العباسي القوي أحمد بن طولون، الذى حاول الاستقلال بمصر رغم أنها لم تعش يوماً واحداً فى ولاية أحمد بن طولون، إذ بدأ حكمه عام - ٢٥٠ هجرية..، أى بعد رحيلها إلى الدار الآخرة باثنين وأربعين عاماً..، مع ذلك تذكُر بعض المراجع أن المصريين شكوا إليها ظلم أحمد بن طولون وجبروته، فسألتهم:





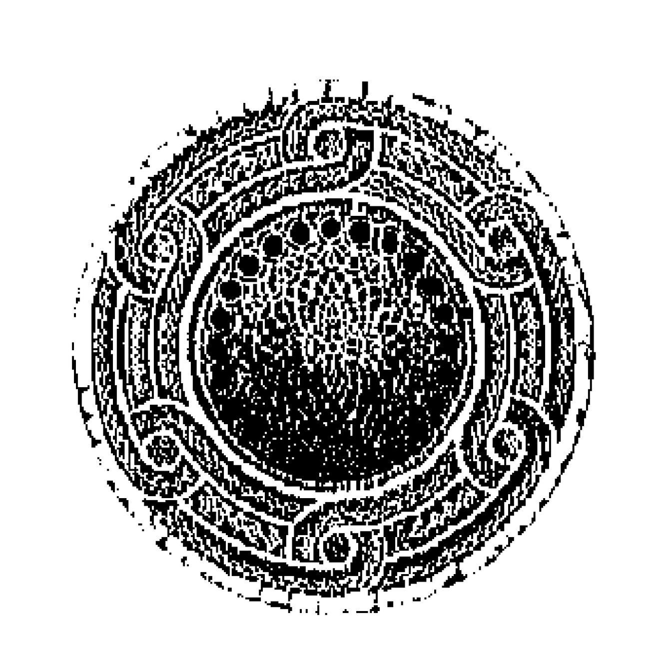


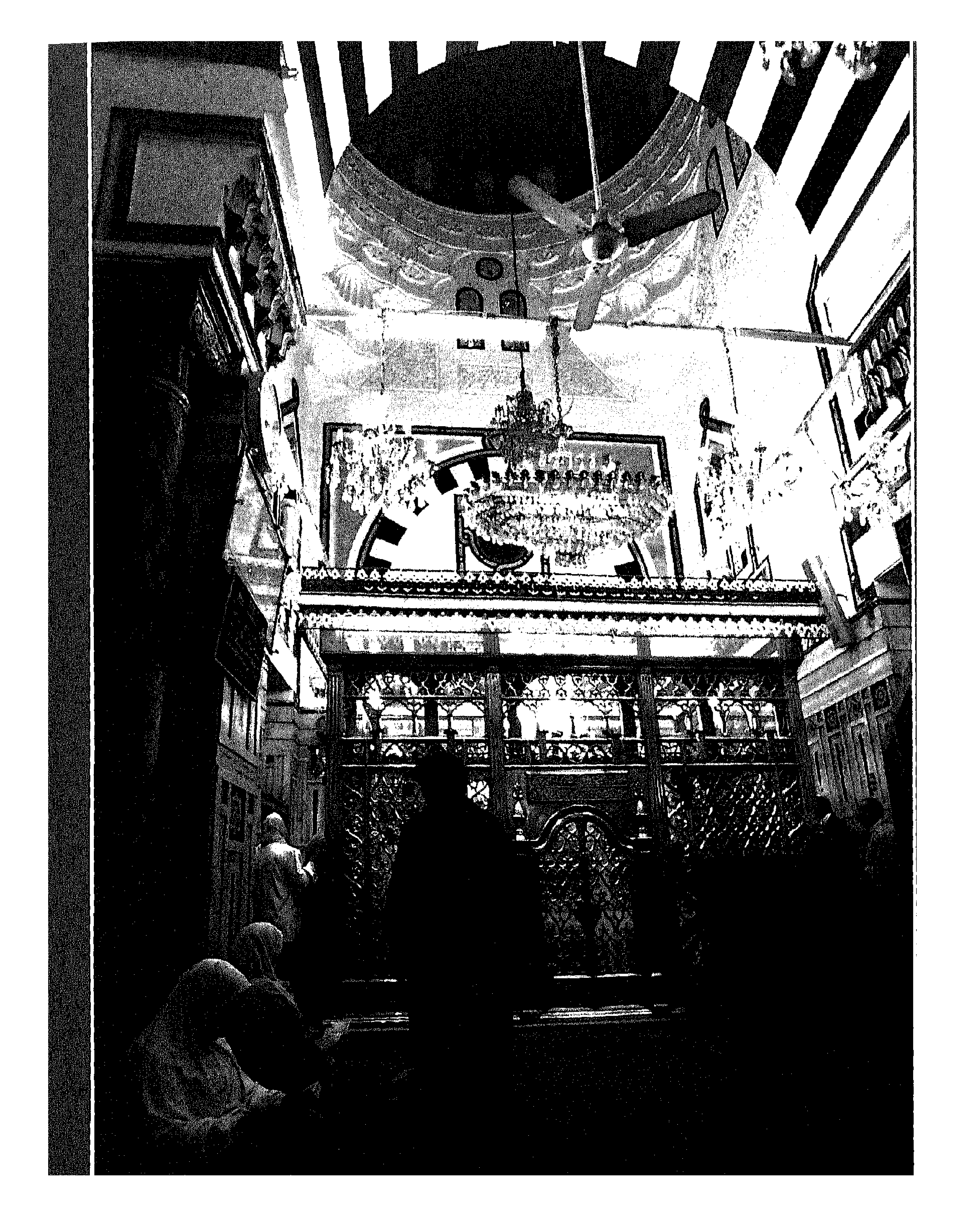
متى يركب/ فقالوا : في غد، فأعدت له رقعة ووقفت في طريقه فلما أقبل قالت له : يا أحمد بن طولون.. فلما رآها عرفها وترجل لها عن فَرسِه، وأخذ منها الرقعة، وكان مكتوباً فيها : ...

" ملكتُم فأسرتُم، قدرتُم فقهرتُم..، وخُوِّلتم ففسقتُم..، ودَرَّت عليكم الأرزاق فقطعتُم..، وقد علمتُم أن سهام الأسحار نافذة، ولا سيما.. من قلوب أو جعتموها..، وأجساد عريتموها،.. اعملوا ما شئتم فإنا صابرون..، وجدوا فإنا باللّه مستجيرون.. واظلموا فإنا منكم متظلِّمون..، وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون.."

يقول الرواة إنه عدل عن ظلمه، وما يزال موقف السيدة نفيسة من الوالى أحمد بن طولون، القوى، المتجبر، الظالم، باقٍ حتى يومنا هذا، فكثيرون يحجمون عن الصلاة، خاصةً صلاة الجمعة فى مسجد أحمد بن طولون وذلك بتأثير رواية شائعة بين القوم حتى يومنا هذا، تقول أن السيدة نفيسة دعت على مسجد أحمد بن طولون لغضبها على من بناه لظلمه، ولذلك لا يُقدِم الناسُ على الصلاة فيه، رغم أنه أقدم مساجد مصر وأجملها وأكملها من حيث عناصره المعمارية بالنسبة للزمن الذى انقضى عليه - أما مسجد السيدة نفيسة فلا يوجد فيه موضعٍ لقدم، خاصةً يوم الجمعة، ويفترِش المصلون الأراضى المحيطة به، تماماً كما يحدث حول مسجد سيدنا الحسين.

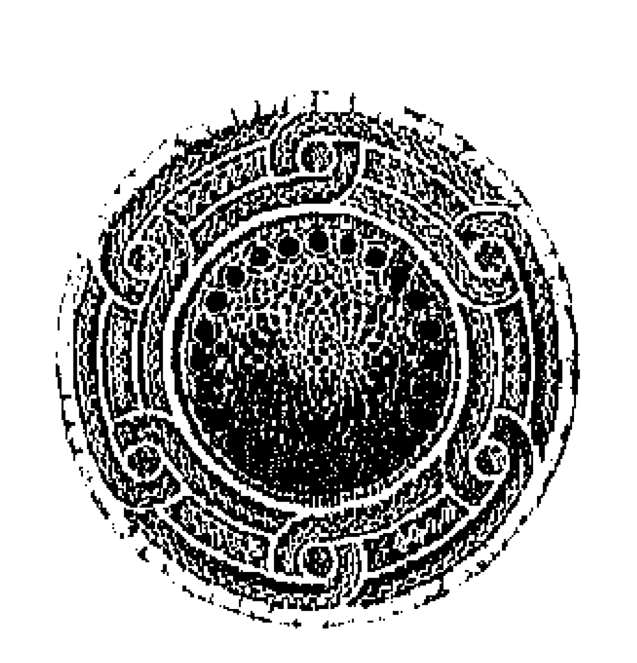
عندما توفيت السيدة "نفيسة" ،لم تكن القاهرة قد بنيت بعد، إذ وضع أساسها عام (٣٥٨ هجرية) على أيدى جوهر الصقلى ورجال الخليفة الفاطمى، المعز لدين اللّه الفاطمي، كانت العاصمة وقتئذ مدينة الفسطاط التى أنشأها عمرو بن العاص بعد فتح مصر، وخلالَ مرحلة الدولة الأموية اتسعت المدينة وازدهرت خططها





ودورها، كان (مسجد عمرو) نقطة ارتكازها وانـطلاقها ، وفى زمن الدولة العباسية ذكر الولاة حـاضرة أخرى عـرفت باسم "العسكر"، وكانت دار السيدة نفيسة على الطريق بين الحاضرتين.

كـانت بداية بناء المشـهد النفيـسى على يد ابن السرى بن الحكم والي مصـر، والمشهد أو المرقد قـائم على القبر الذى حفرته بيديها، ثم أعـيد البناء فى عهد الدولة الفاطميـة، حيث أقيمت عليه قـبة، وقد دُوِّن تاريخ هذه العمـارة على لوحة وضعت عند باب الضريح، وفى سنة (٣٥٢ هجـرية) حدث تصدُّع للقـبة ، فجددها الخليـفة الفاطمى الحافظ لدين اللّه، ويذكر السخاوى فى كتـابه "تحفة الأحباب وبغية الطلاب فى الخطط والمزارات والتـراجم والبقاع المبـاركات" أن السلطان الناصـر محـمد بن قلاوون أمر سنة ٧٥٢ هـ - أن يتولى النظارة على المشهد النفيسى الخلفاء العباسيون الذين أصبح مقـرُهم القاهرة بعد إجتياحِ المغـول لعاصمة الخلافة بغـداد، بعدها جاء إلى مصـر الخلفاء العبـاسيون واسـتمروا بها حـتى وقوع الغزو العـثمانى لمصـر عام

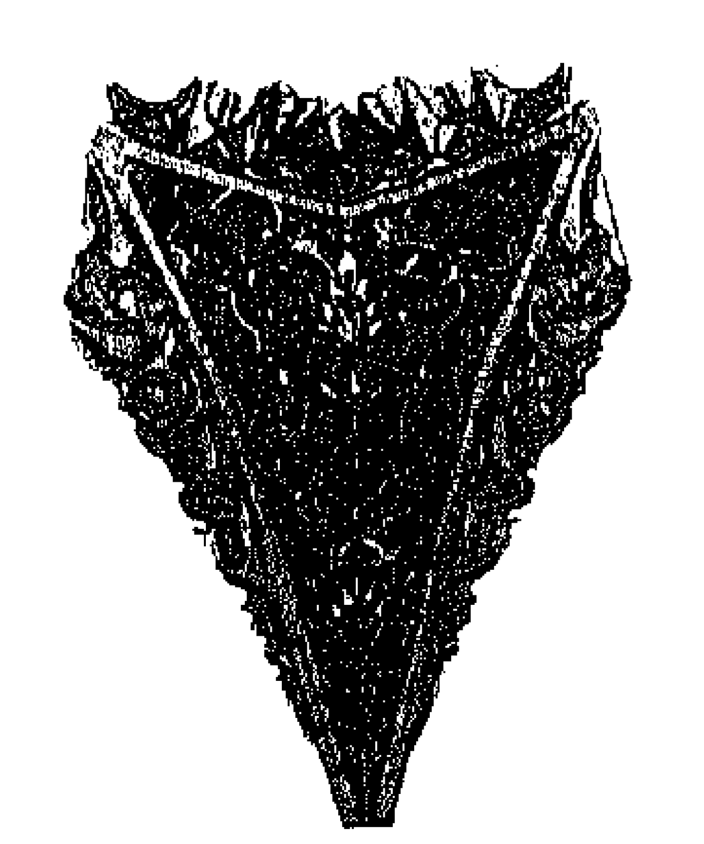




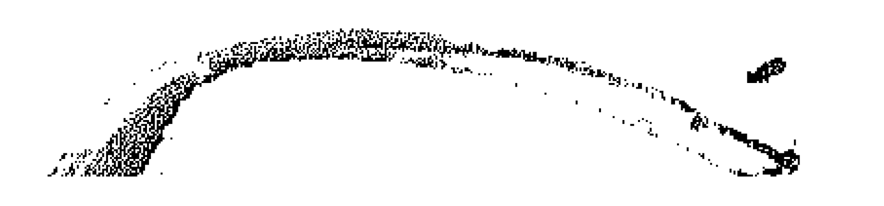
(٩٢٢ هجرية)، ويقول الجبرتى فى تاريخه الشهير.. أن الأمير المملوكى العظيم عبد الرحمن كتخدا - عمَّر المشهد النفيسى ومسجده وجعل للنساء مدخلاً مختلفاً عن مدخل الرجال ، وأقيم البناء الحديث الحالى فى (سنة ١٣١٢هـ) ، وافتتح عام (١٣١٤ هـ) فى احتفال كبير، وخلال السنوات الأخيرة تم توسعته وإضافة مساحة جديدة إليه، وتنافس المحبون من الأثرياء فى الإنفاق على التوسعة الجديدة ، وكان من أشهرهم المرحوم الدكتور/ على المفتى - طبيب العيون الشهير. كما جرى تمهيد الطرق المحيطة ، ولكن النقلة الكبرى ستتم خلال العامين القادمين عبر مشروع وزارة السياحة الجديد الذى يربط المراقد المقدسة لآل البيت فى مصر من خلال طريق واحد ، وعبر خطة شاملة لتطوير المنطقة.

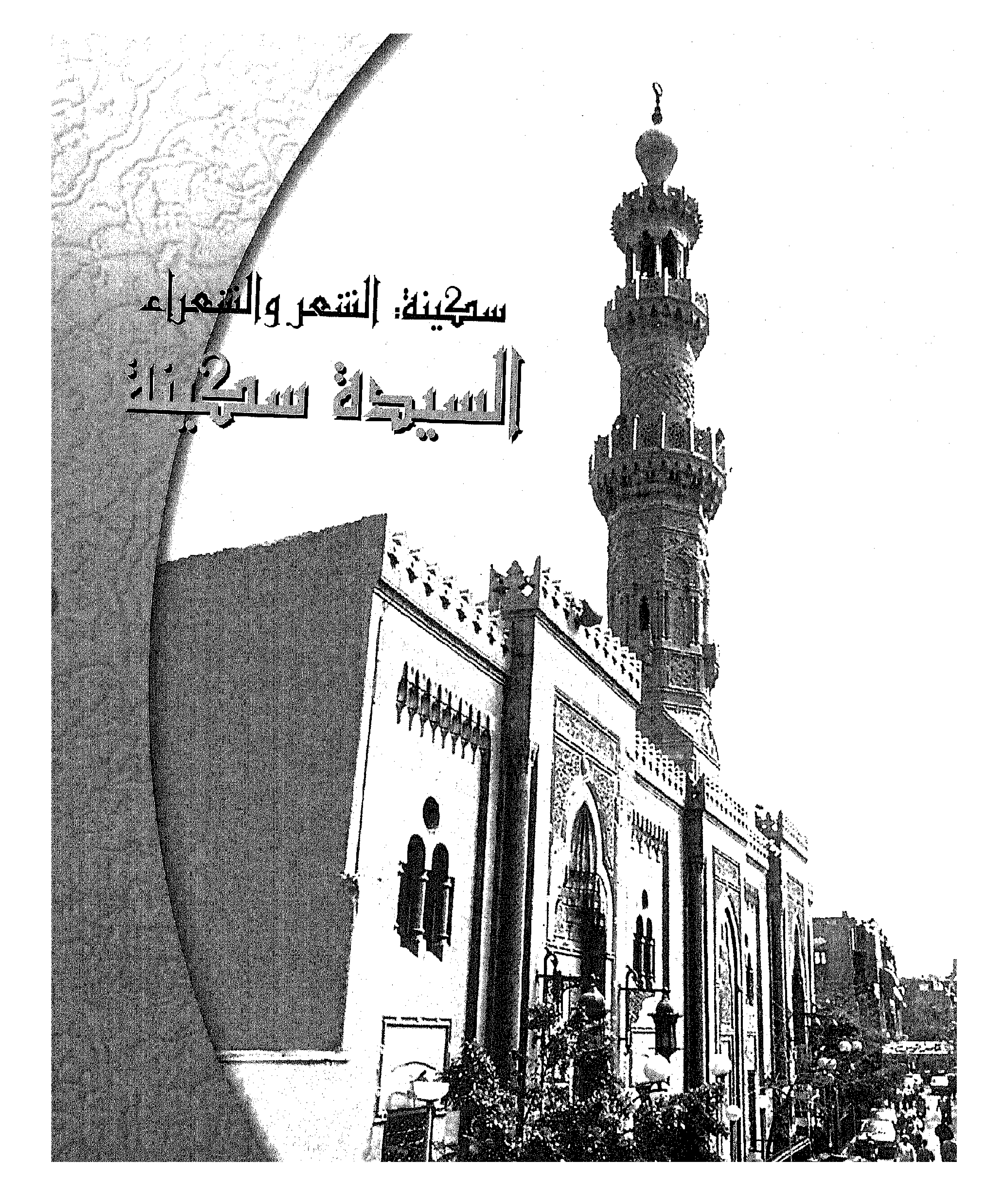
ومن خلال زياراتى المتكررة للمرقد والمسجد أتيح لى خلالَ السنوات الأخيرة متابعة العمران الذى بدأ يحيط به وتنافس القوم على العناية به ، ومما ألاحظه زيادة وتعاظم مكانة السيدة "نفيسة" فى نفوس المصريين، ويكفى أن الواحد من الناس إذا شعر بضيق أو أصابه ظلم أو نزل به غمٌّ ، يصيح على الفور - سواء كان قريباً من مرقدها أو بعيداً عنه - يصيح من أعماق قلبه..

"يا نفيسة الدارين .. نظرة ..!"








سكينة: الشعر والشعراء
السيدة سكينة

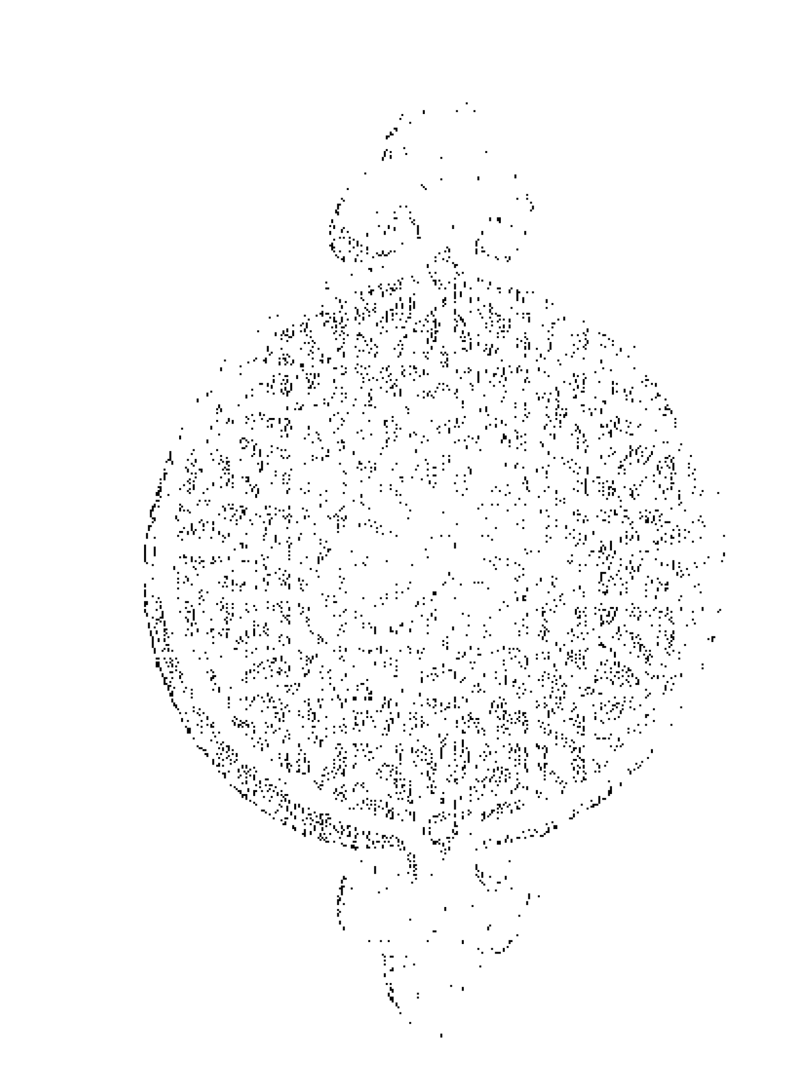


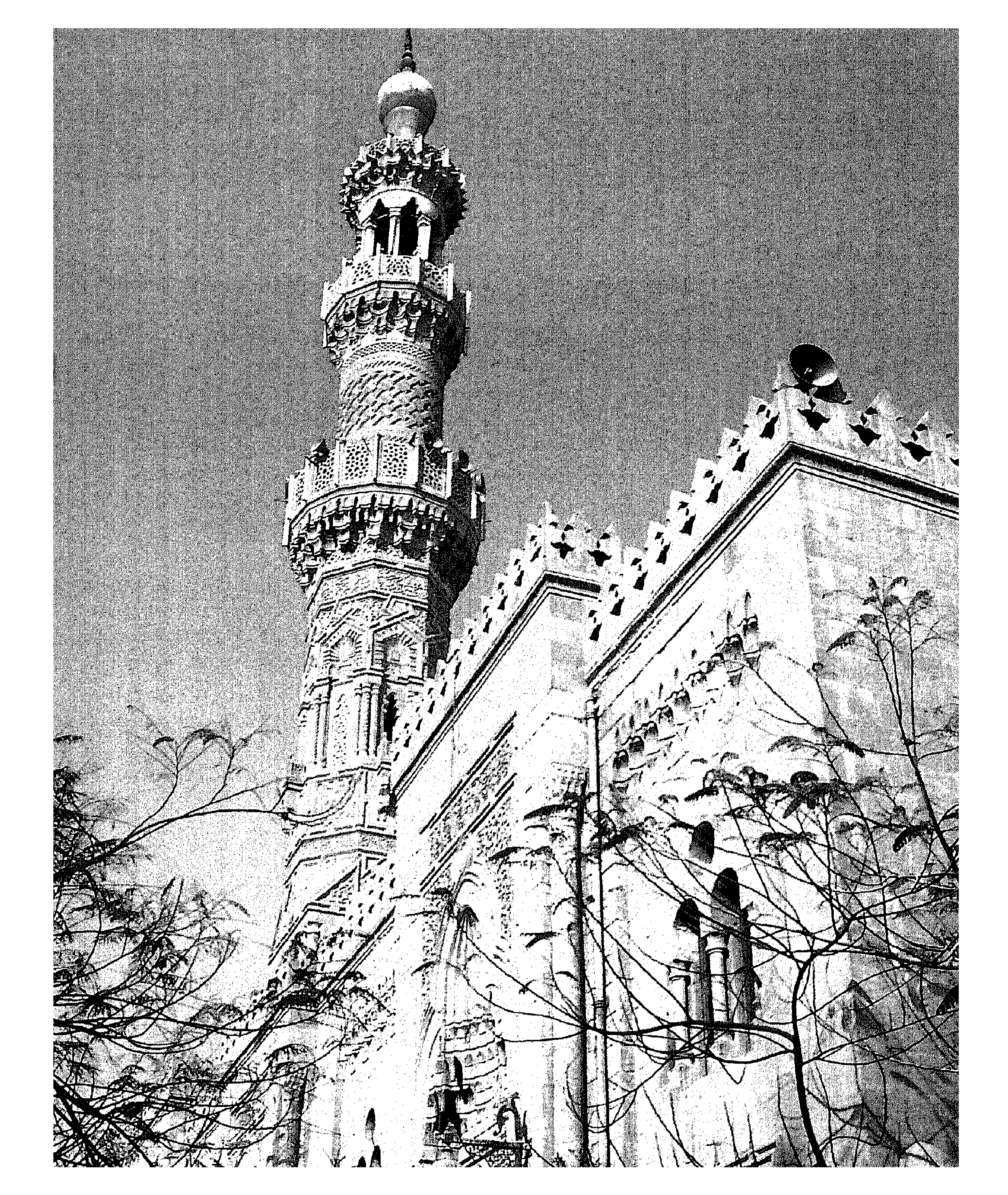
يبدو الطريق الممتد من مشهد السيدة نفيسة وحتى مسجد أحمد بن طولون كأنه بقيع مصرى، على مسافات متقاربة تقوم مراقد آل البيت الذين وفدوا إلى مصر ودخلوها وأقاموا بها ورقدوا فى ثراها.

ما إن نفرغ من زيارة المشهد النفيسى حتى نتجه عبر شارع الأشرف إلى مشهد السيدة سكينة ابنة الحسين عليه السلام. نمضى عبر الشارع بحيث تكون القلعة إلى يميننا باتجاه سبيل ام عباس، هذا السبيل عثمانى الطراز والذى صار من معالم المنطقة، ونقطة هامة، بارزة فى المكان، أنشأته السيدة "بنبه قارن" أم عباس باشا سنة (١٢٨٤ هـ - ١٨٦٧ م)، وكان إنشاء الأسبلة من أجلّ أعمال الخير التى يقدم عليها الأثرياء والحُكام، فلم تكن هناك شبكة منظمة لتوزيع المياه كما هو الحال الآن. بل كانت القاهرة تتلقى الماء عبر أكثر من ثلاثة آلاف سبيل. لم يتبق منها الآن إلا مائة وستة وستين، كلها فى عِداد الآثار بعد أن فقدت وظيفتها الأساسية، تقديم الماء إلى المارة وتزويد البيوت والمعامل والمتاجر والمقاهى بحاجتها منه. وكان السبيل يقترن دائما بتعليم القرآن الكريم. هذا ما نجده فى جميع أسبلة القاهرة القديمة كترجمة عملية، ومعمارية، إنسانية للآية القرآنية «وجَعَلْنَا مِنَ الماءِ كُلَّ شَيْءٍ حى..»

قبل أن نصل إلى سبيل أم عباس، وعلى بعد أمتار من مرقد السيدة نفيسة سنرى مسجدًا، عتيقاً، جميلاً، قُبتهُ ذات رونق فريد، تمنحنا الإحساس أنها تلامس السحب، جميلة التكوين. تماما مثل صاحبتها التى تنسب إليها، السيدة سكينة ابنة سيدنا الحسين عليه السلام، التى اشتهرت بجمالها، وحسنها، وأناقتها، حتى أنها صففت شعرها بطريقة خاصة، عُرِفَت بالطرة السكينية، أنتشرت بين النساء والرجال أيضا.

اسمها، أو لقبها بالتحديد يمنح مسجدَها ومرقدَها حالة من الصفاء والهدوء سرعان ما تشمل الداخل إليه وتتسرب إلى أعماقه. نعرفها بسكينة، إنه لقب أُطلقَ عليها، لقب فيه تعظيم رغم أنه تصغير. اسمها الحقيقى آمنة، أو أمينة. سماها أبوها باسم والدة النبى، آمنة بنت وهب، أما سكينة فلقب أطلق عليها لهدوئها وطول تأملها وإشعاعها الجميل، وهو من السكن والسكون والسكينة والهدوء، هذه معان تتجسد كلها داخل مسجدها الذى يحتوى على مرقدها المصرى.





يقول عنها ابن خلكان فى موسوعته الشهيرة "وفيات الأعيان".

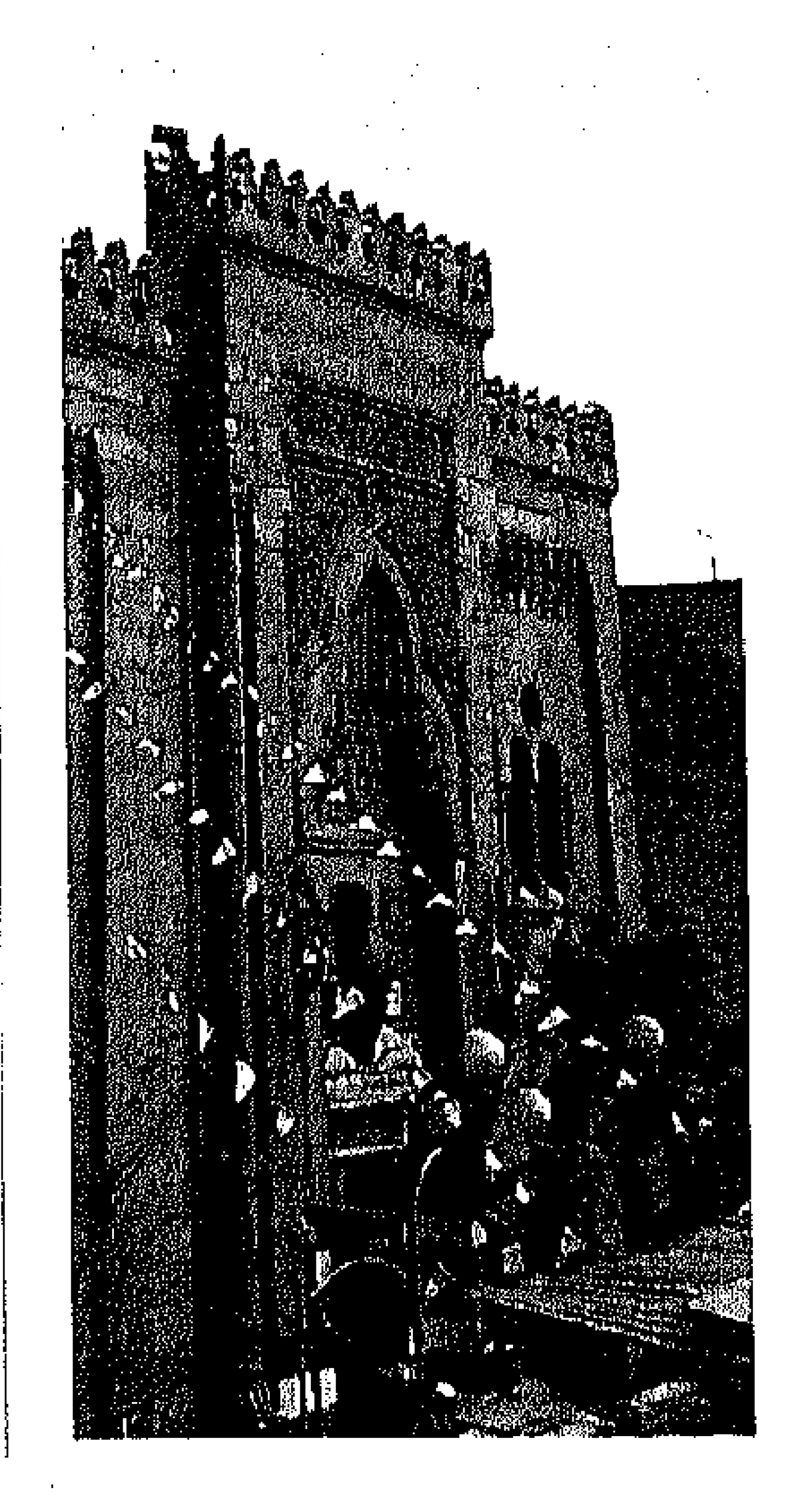
السيدة سكينة بنت الحسين بن على بن أبى طالب رضى الله عنهم كانت سيدة نساء عصرها، ومن أجمل النساء وأظرفهن وأحسنهن أخلاقاً. تزوجها مصعب بن الزبير وهلك عنها. ثم تزوجها عبد الله بن عثمان بن عبد الله بن حكيم بن حزام فولدت له قريباً. ثم تزوجها الأصبغ بن عبد العزيز بن مروان وفارقها قبل الدخول، ثم تزوجها زيد بن عمرو بن عثمان بن عفان فأمره سليمان بن عبد الملك بطلاقها ففعل".

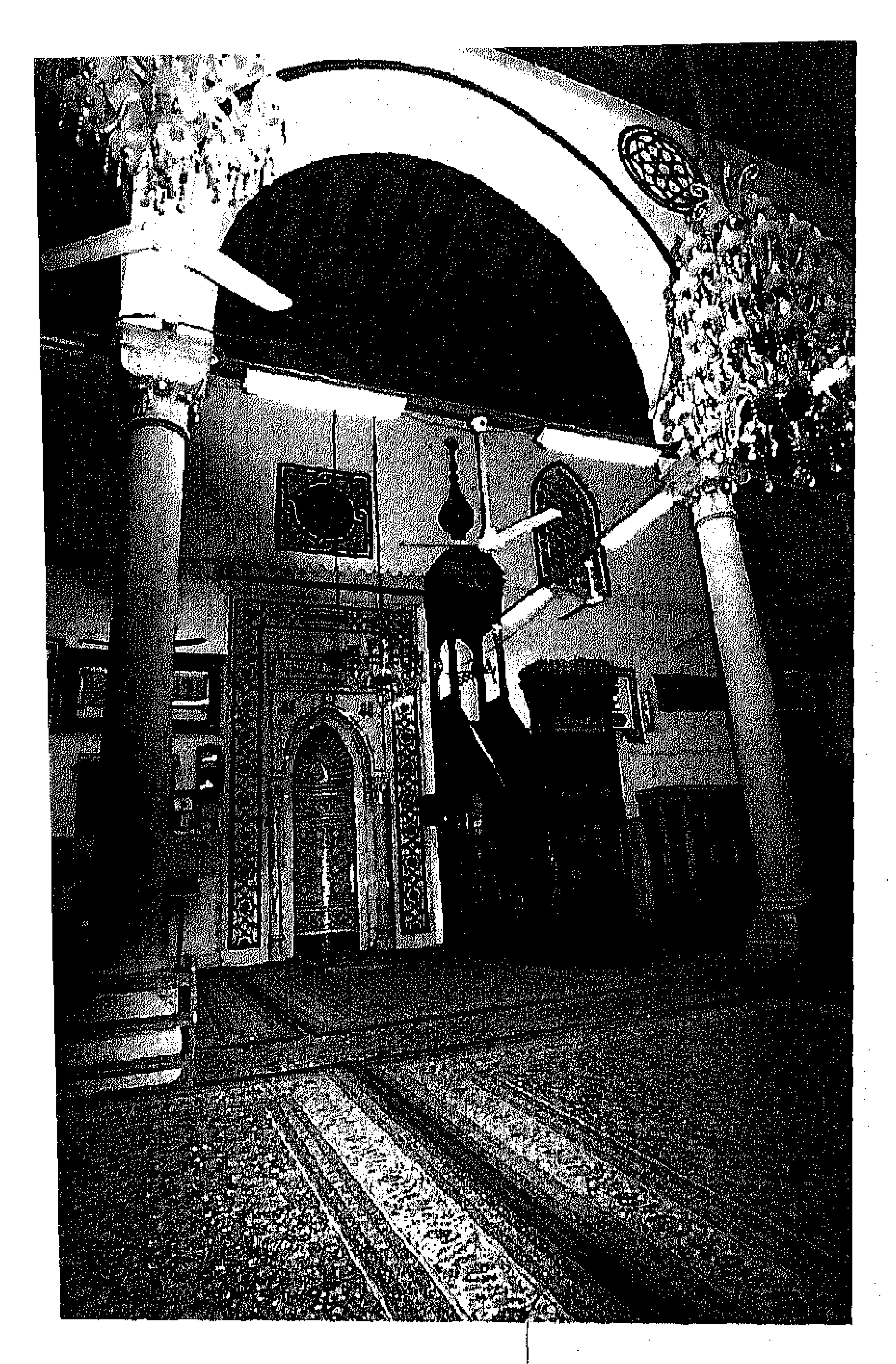
وكانت وفاتها يومَ خميس لخمس خلون من ربيع الأول سنة سبع عشرة ومائة، وقيل: اسمها آمنة، وقيل: أمينة، وقيل: أميمة وسكينة لقب لقبتها به أمها الرباب ابنة امرىء القيس بن عدى، إذن.. كيف جاءت إلى مصر؟

نجد الإجابة فى كتاب "تحفة الأحباب وبغية الطلاب فى الخطط والمزارات، والتراجم والبقاع المباركات" للمؤرخ شمس الدين السخاوى، يقول: السيدة سكينة أوّل علوية قدمت إلى مصر وسبب قدومها أن الأصبغ بن عبد العزيز أمير مصر خطبها من أخيها وبعث مهرها إلى المدينة فحملها أخوها إلى مصر، فقالت له: "والله لا كان لى بعل، فلما وصلت إلى مصر مات الأصبغ بمصر، وماتت بمصر.."

وبعيداً عن اختلاف المؤرخين، فإن منزلتها عند المصريين رفيعة، ومحبتها شائعة، عميقة، ويجمع الإمام الشعرانى فى طبقاته على وجودها فى مصر، وفى كتب التراجم والسير نجد تفاصيل عديدة تبرز لنا شخصيتها الفريدة. قدر لهذه الحسناء، الصالحة أن ترى مصرع أبيها بعينها فى كربلاء وأن تقاسى ما نزل بآل الحسين. ومن أبرز ملامح شخصيتها علاقتها بالأدب.

كان بيتهاُ فى المدينة المنورة من مجالسِ العلم والأدب، كانت فصيحة اللسان، شاعرة، ومن التفاصيل التى حفظتها لنا المصادر التاريخية أن ثلاثة شعراء وفدوا





على الحجاز، هم ابن سُريح والفُريض ومَعبد، والشاعر المغنى حين الحيوى، استدعاه شعراء الحجاز للاستمتاع بصوته الجميل الذى ذاع صيته فى الآفاق، واتفق الجميع على استضافته فى بيت السيدة سكينة، فاستأذنوها فأذنت لهم، وغصَّت الدار بالناس، ازدحموا لسماع صاحب الصوت الشجى، حتى أنَّ السقف مال بالجالسين وتصدَّع من تحتهم، وأوشكت الكارثة أن تقع لكنهم سلموا جميعاً إلا صاحب الصوت العذب الذى أشجى الناس، مات تحت الهدم، ورثته السيدة سكينة قائلة: "انتظرناه طويلا فلما جاء مات.. كأننا والله كنا نسوقه إلى الموت" كانت دارها منتدىً عاماً للشعراء والأدباء، وكانت تفيض عليهم من يُسرها، ومالها، تصغى إلى أشعارهم، وتبدى آراءها التى كانت تعكس ذائقة فريدة، اجتمع فى مجلسها جرير والفرزدق وجميل وكثير ومصعب، كانت تجلس حيث يمكنها رؤيتهم ولا يرونها. فى أحد الايام خرجت وصيفتها.

قالت الوصيفة

– أيكم الفرزدق؟

– ها أنذا

– أنت القائل فى محبوبتك " وأقبلت فى أعجاز لَيْلٍ أُبادره"

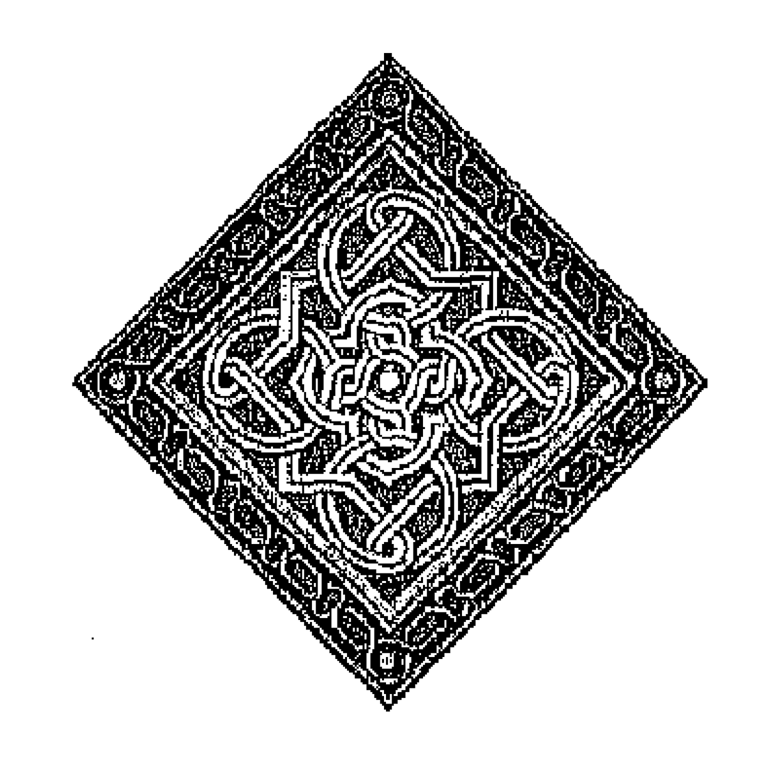
– نعم

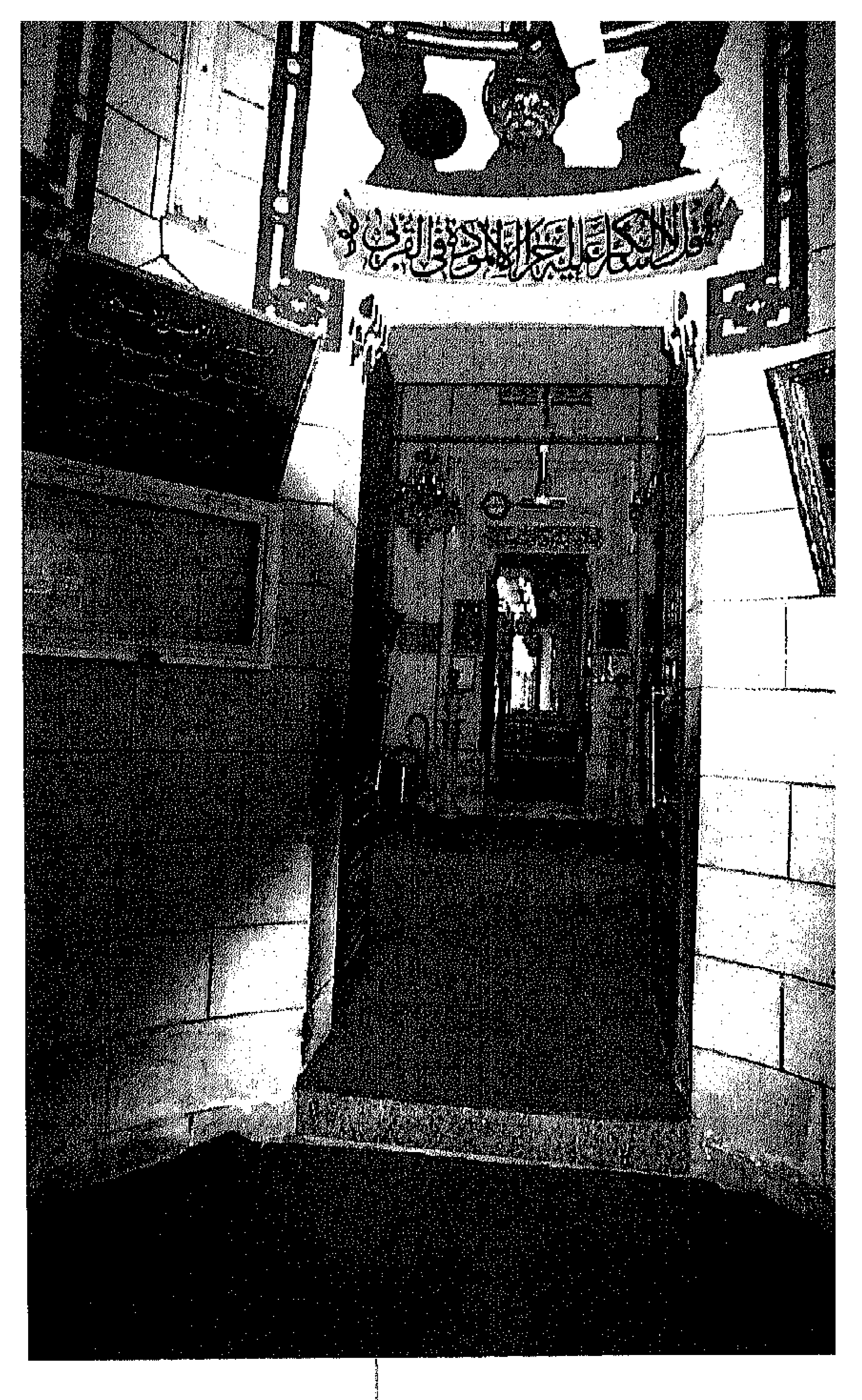
– فما دعاك إلى افشاء سرها وسرك؟ خذ هذه الألف دينار والحق بأهلك ثم دخلت على سيدتها وعادت إلى جرير لتسأله:

– أنت القائل "طَرَقَتْكَ صائدةُ القُلوب وليس ذا

حينَ الزيارة فارجعى بسلام

أومأ مجيباً فقالت بلسان سيدتها: فهل رحبت بها وقلت. أدخلى بسلام. خذ هذه الألف والحق بأهلك. ثم دخلت وخرجت لتسأل كثير عزة عن قوله،





فو الله ما يدرى كريم مما طل

أينساك إذ باعَدْت أم يتضرع

تقول بلسان سيدتها: ملحت وشكلتَ.. خذ هذه الثلاثة آلاف دينار والحق بأهلك. ثم عادت لتسأل نُصَيّب عن قوله:

ولولا أن يقال صبا نصيب

لقلت بنفسى النشأ الصّغارُ

بنفسى كل مهضوم حشاها

إذا ظلمت فليس لها انتصار

قالت: ربيتنا صِغاراً.. ومدحتنا كباراً، خذ هذه الألف والحق بأهلك. ثم انتهت إلى جميل، قالت له: سيدتى تقرئُك السلام، وتقول إنها مازالت مشتاقة لرؤيتك مذ قلت:

ألا ليت شعرى هل أبيتن لَيلةً

بوادى القُرى إنيّ إذا لسعيدُ

لكل حديث بينهن بشاشةٌ

وكل قتيل عندهن شهيد

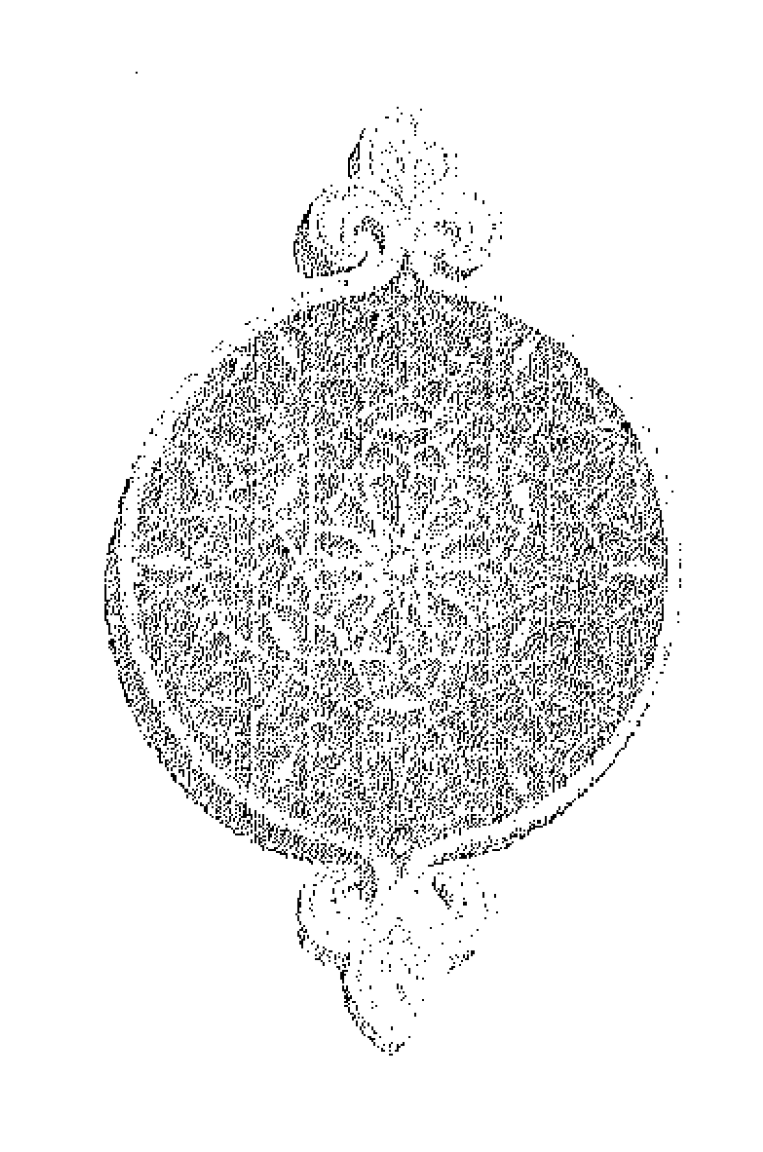
تتضمن هذه الحادثة قدرتها على نقد الشعر، وتبرز ذوقها، لقد أنكرت على الفرزدق إفشاء سر محبوبته. وأثنت على جرير عفة شعره، وإن أنكرت أسلوبه، وأعجبت بأبيات كثير فى وصف حبيبته. وأعجبها من جميل دقة تعبيره فى شهادة قتيل المحبة. كانت السيدة سكينة مرجِعاً للشعراء، يحتكمون إليها إذا نشب خلاف، ومن شعرها فى رثاء أباها:

يا عين فاحتفلى طول الحياة دماً

لا تبك ولداً ولا أهلاً ولا رفقة

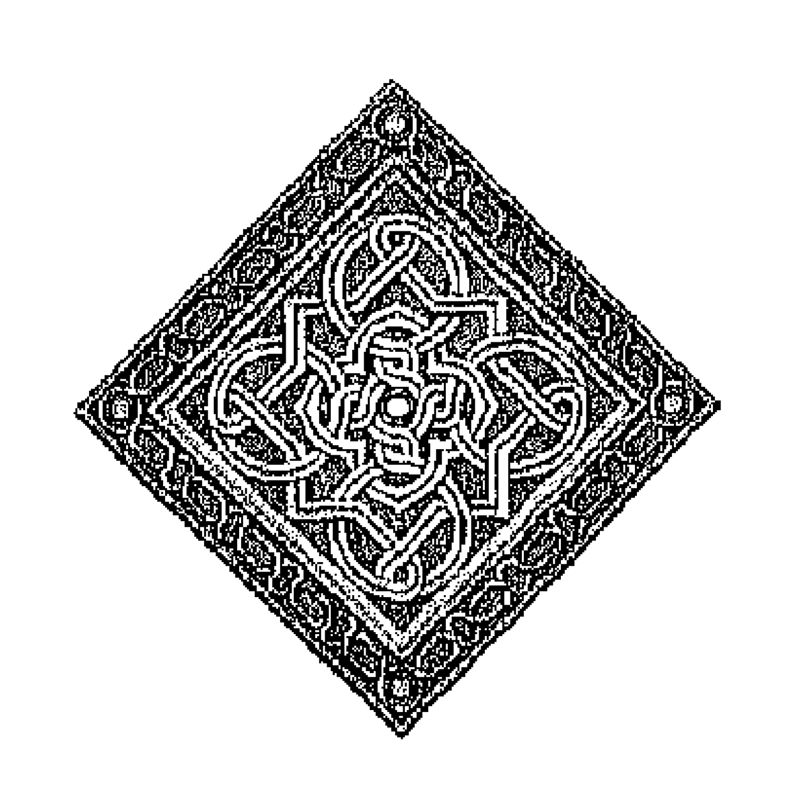
لكن على ابن رسول الله فانسكبى

دماً وقيحاً وفى إثريهما العلقة



وقالت فى رثاء زوجها:

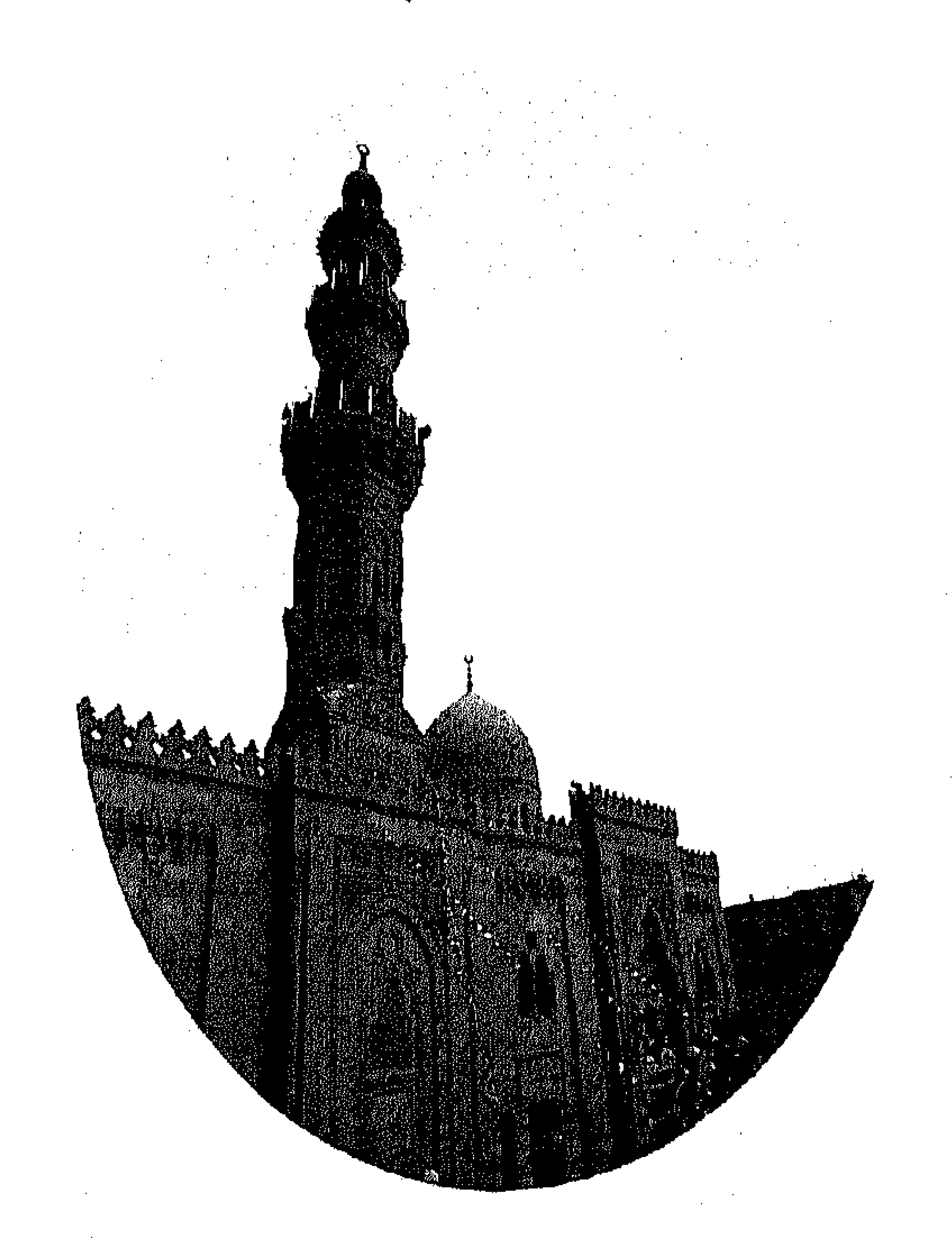


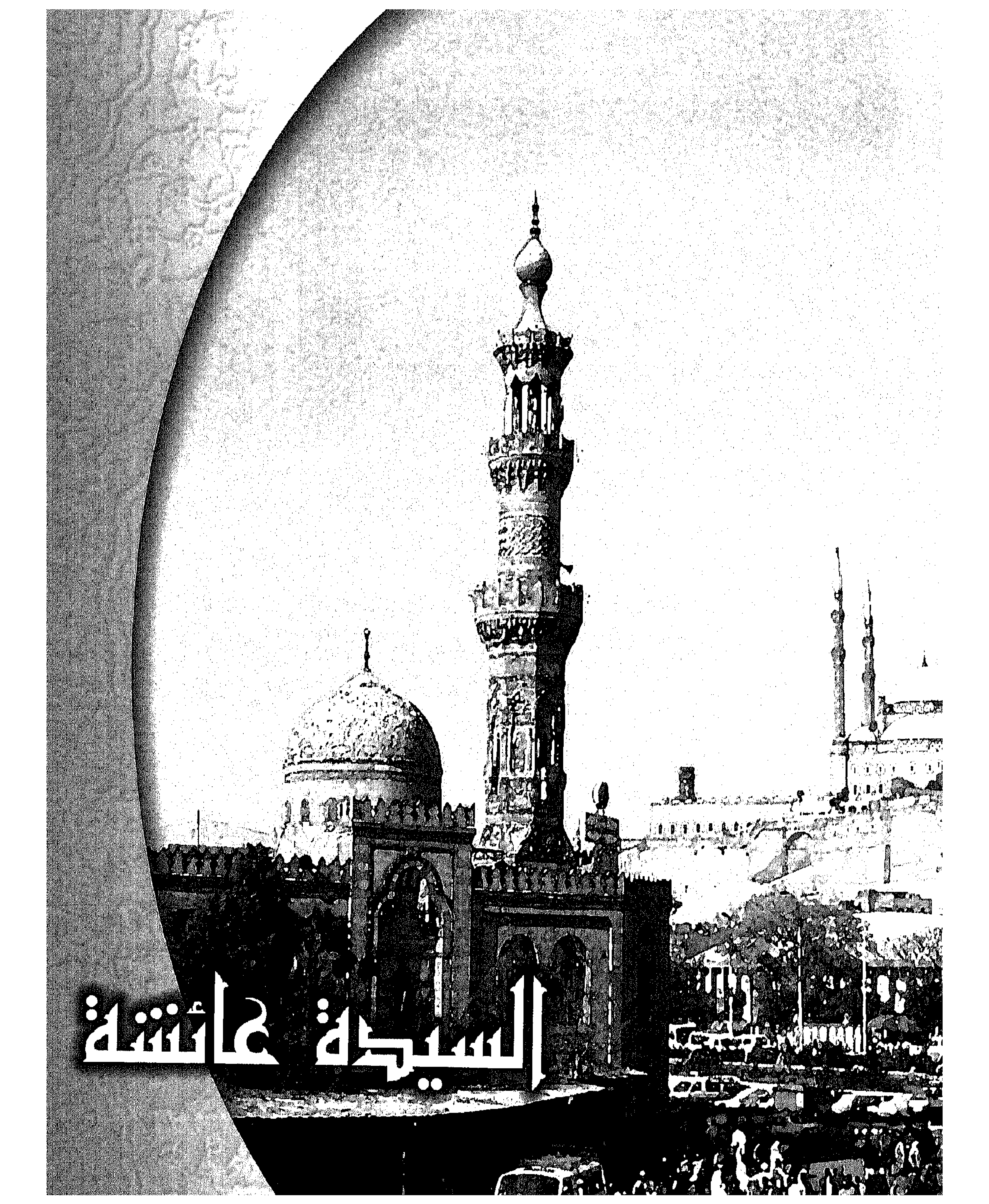


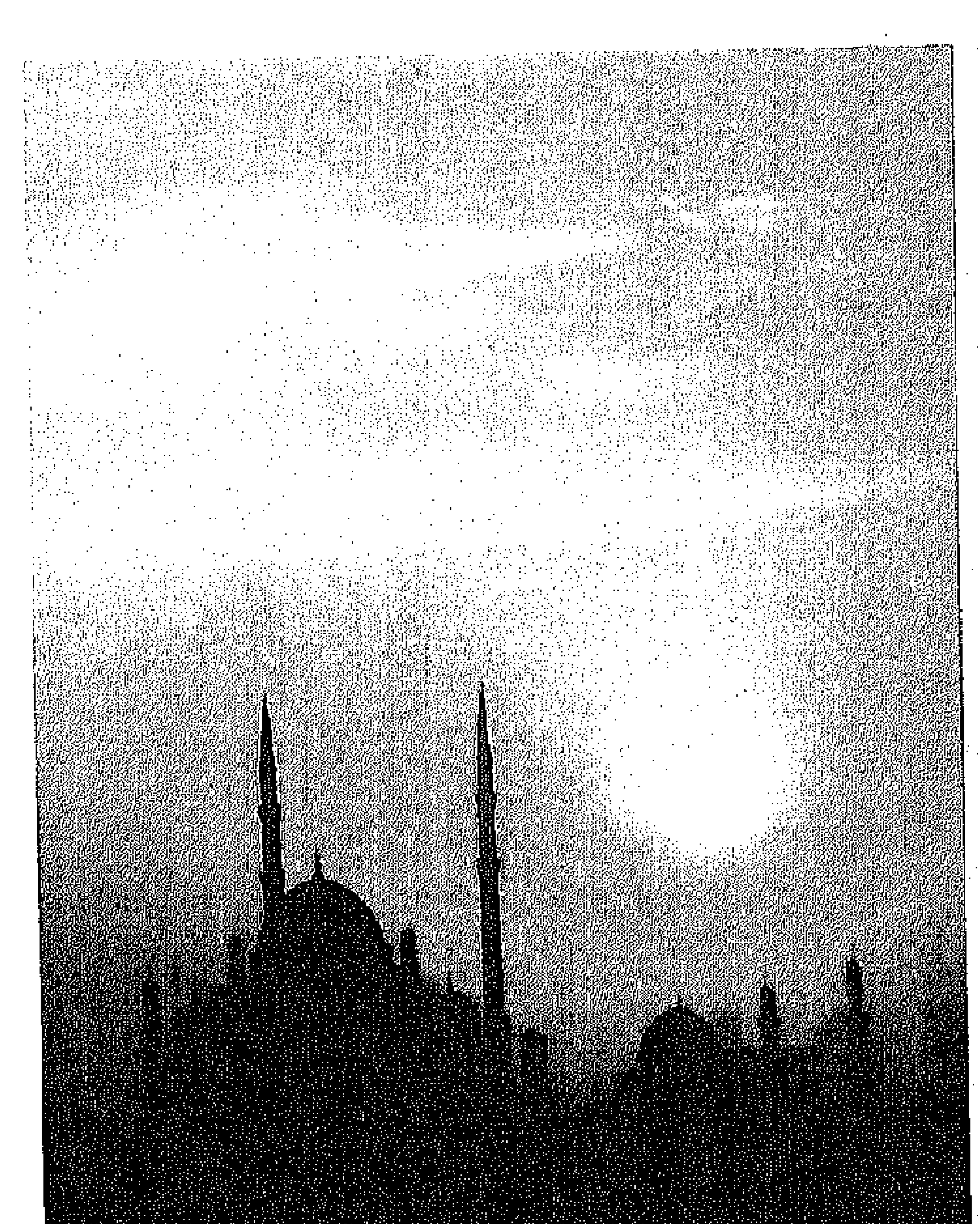
فإن تقتلوه تقتلوا الماجد الذى
يرى الموت إلا بالسيوف حراما
وقبلك ما خاض الحسين منية
إلى القـوم حتى أوردوه حِماما

تلك جوانب هذه الشخصية النسائية الفذة، التى حباها الله بأصالة النسب الكريم، وأكرمها بموهبة القول شعرا ونثراً، وأمتحنها بفقد الوالد والزوج، لكنها ظلت تشع حُسْناً وعلماً وجَمالاً وسكينة، وهذا ما أضفاه لقبها على مرقدها الجميل، الأنيق، والذى يقوم فى منتصف طريق الأشرف الذى تتقارب فيه مراقد آل البيت، أولئك الذين توسدوا الثرى بالفعل، أو الذين أقام لهم المصريون مراقد عامرة فى قلوبهم، الأمس واليوم وغداً.






السيدة عائشة



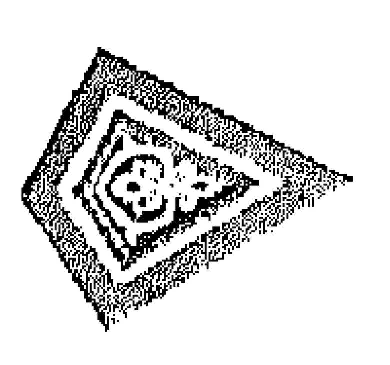
فروع الدوحة الطاهرة

فى السعى إلى مراقد أهل البيت فى القاهرة، نمر بشوارع تفيض بالحياة ويتدفق عبرها البشر فكأنهم يستأنسون بهم. ويطوفون باستمرار حول مراقدهم الشريفة الطاهرة.

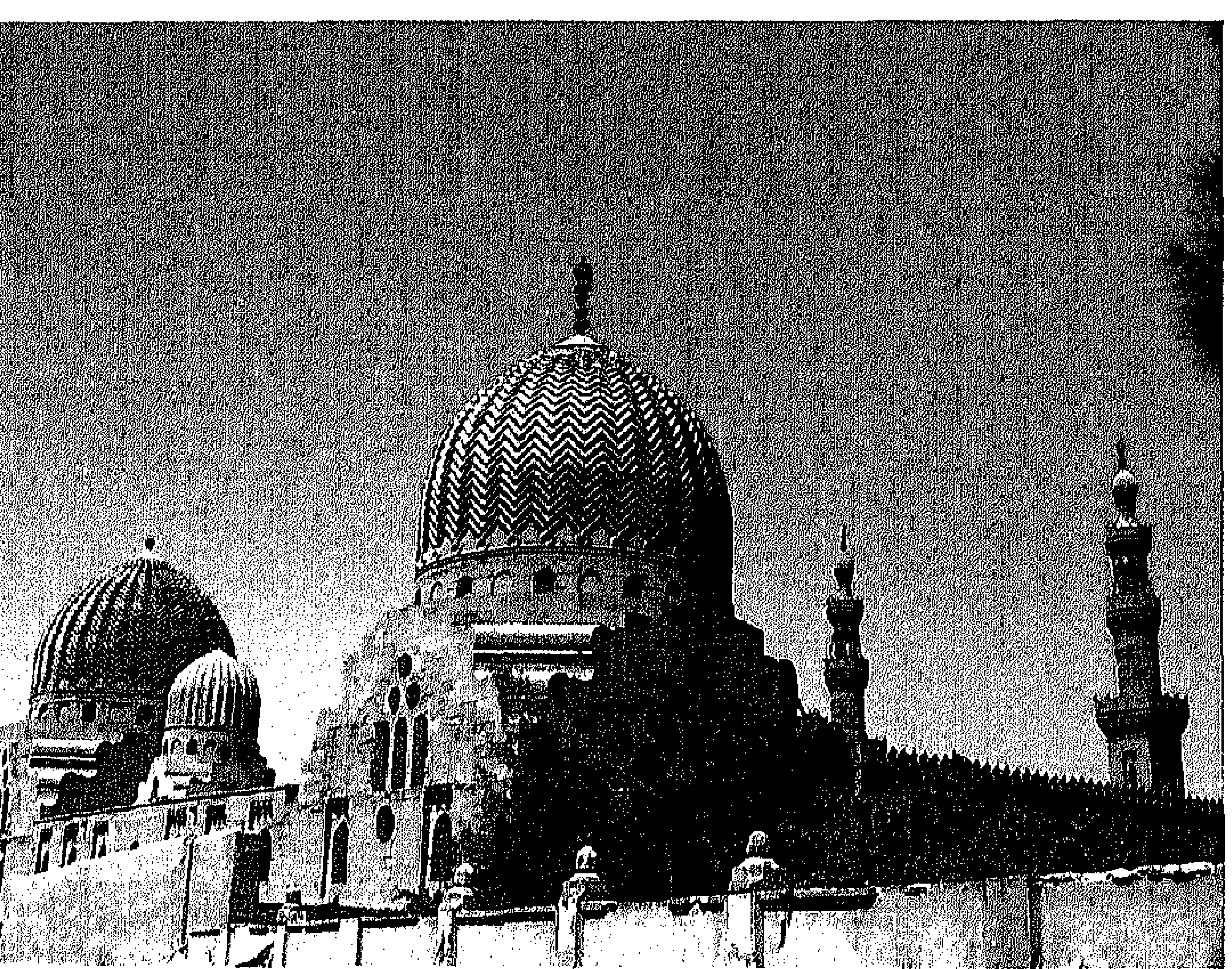
السيدة عائشة، اسم إذا سمعه الانسان تتداعى إلى ذهنه معان عديدة فهى من بيت النبوة. وأيضا اسم لمسجد شهير، واسم لمنطقة كاملة تماماً مثل سيدنا الحسين. والسيدة زينب، والسيدة نفيسة.

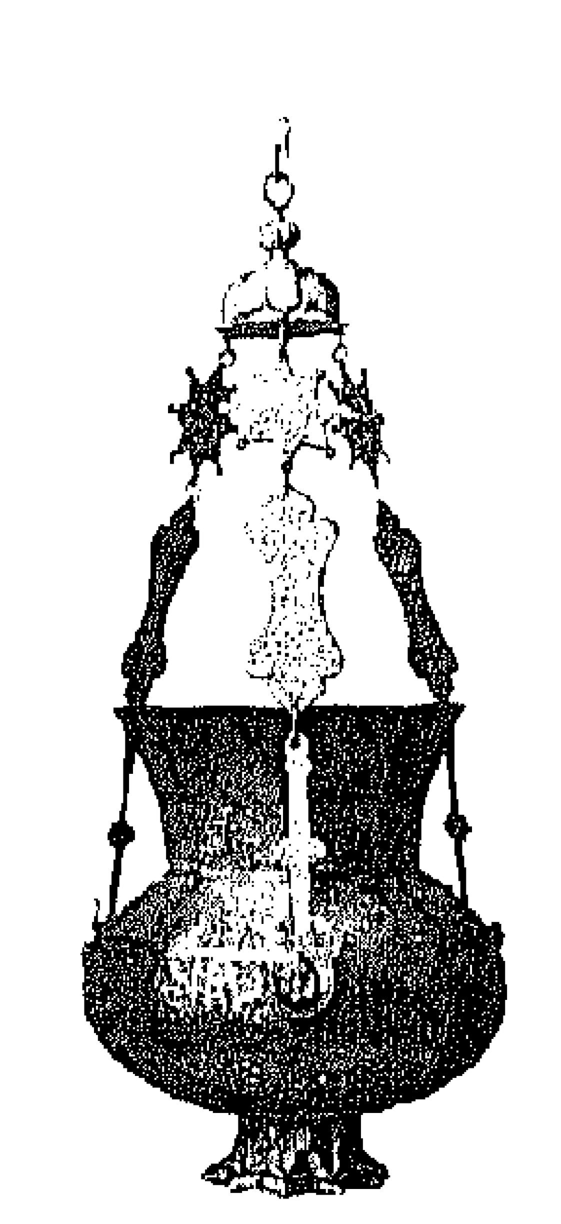
يطالعنا مسجدها المطل على الطريق السريع، والذى يواجهه جسر للسيارات، وتطاول مئذنة المسجد، مآذن مسجد محمد على التى تقوم فوق القلعة وتشكل خلفية للقاهرة القديمة والحديثة. على الطرف الآخر من الطريق تقوم قباب الخلفاء العباسيين، وأضرحة الأمراء المماليك. لذلك فإن الساعى إلى مراقد آل البيت فى هذا المسار لا يرى فقط أضرحتهم الطاهرة إنما سيمر بأغنى منطقة فى مصر مزدحمة وثرية بالأثار الإسلامية من مختلف العصور. أينما اتجه البصر لابد أن يقع على قبة منقوشة. أو مئذنة رشيقة التكوين، أو آيات بينات محفورة بخط جميل على الجدران.

لنتوقف أمام مسجد السيدة عائشة، نتأهب للدخول إلى فضائه الجميل، المهدىء للنفس. الباعث على الطمأنينة والأمن الروحى، تلك سمات تميز كافة مراقد آل البيت فى مصر، ولذلك ستلحظ العين وجود كثيرين جاءوا من شتى الأماكن من الريف، من الحضر، يسعون للزيارة وطلب البركة والشكوى من الكروب.









السيدة عائشة بنت جعفر الصادق، ابن الإمام محمد الباقر. ابن الامام على زين العابدين ابن الإمام الحسين، ابن الإمـام على بن أبى طالب كرَّم الله وجهه، وهى أخت الإمام موسى الكاظم رضى الله عنه.

توفيت عام خمس وأربعين ومائة.

يؤكد المؤرخون من مختلف العصور وجـود جثمانها الطاهر فى قرى مصر، نقـرأ ما كتبه ابـن الزيات فى كتـابه عن الاعلام المدفـونين بالقرافـة " الكواكب السيارة فى ترتيب الزيارة:

"وأصح من بالحومة مشهد السيدة عائشة لها نسب متصل بالإمام الحسين بن على بن أبى طالب"

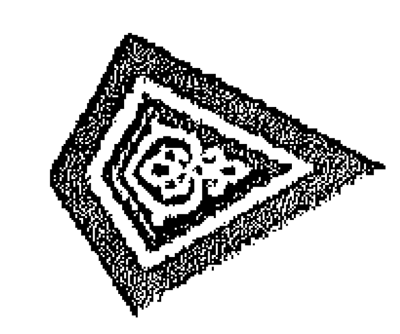
وتبعه السخاوى فى كتابه تحفة الأحباب.

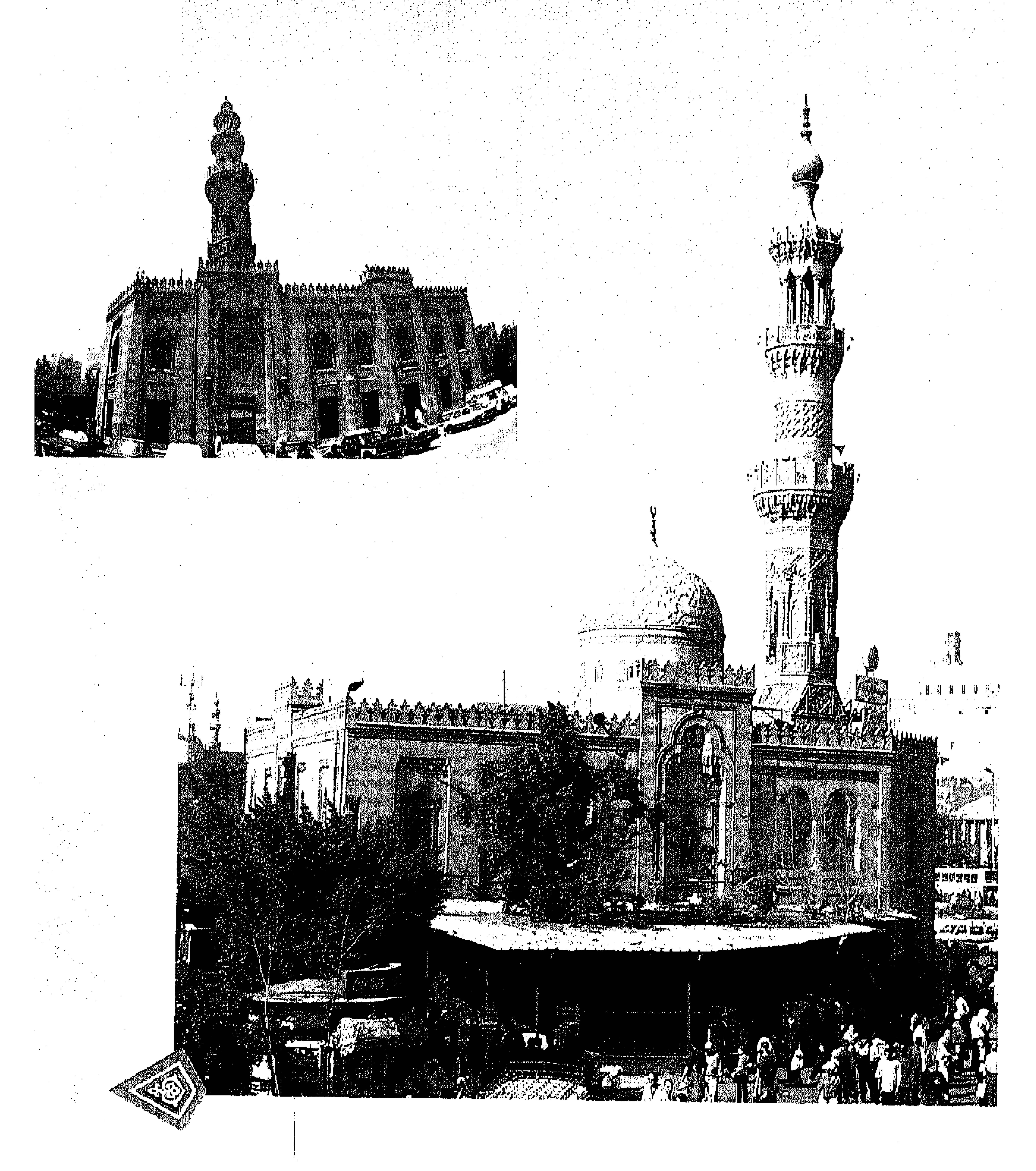
" هذا قبر السيدة عائشة من أولاد جعـفر الصادق ابن الإمام محمد الباقر ابن الإمـام على زين العابدين ابن الإمـام الحسين ابن الإمـام على بن أبى طالب. كرَّم الله وجهه".

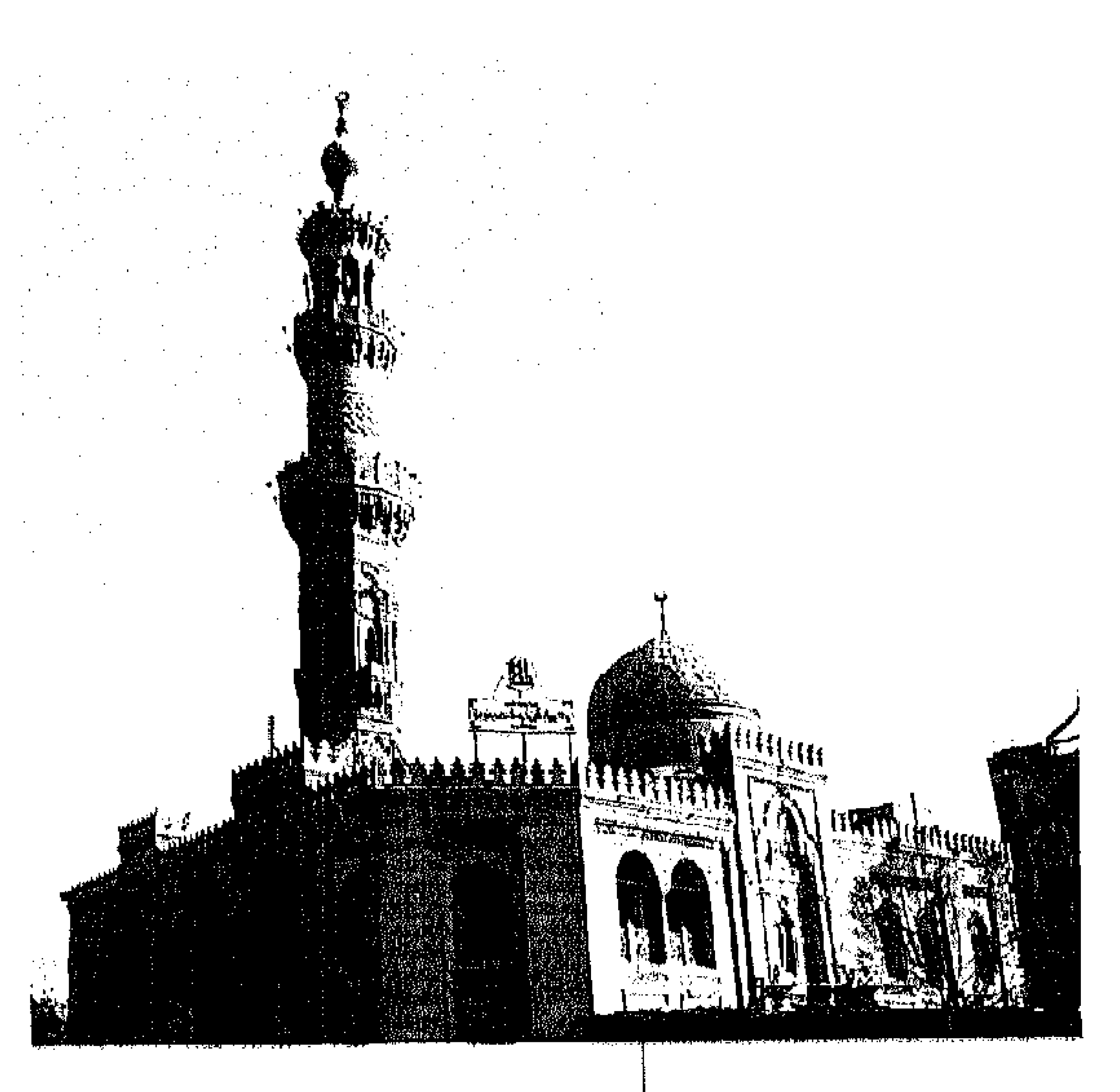
ذكر ذلك أيضـاً الإمام الشـعرانى فى طبـقاته، والإمام المناوى، ولحـفى على باشا مبارك فى خططه أقوال المؤرخين:

"أخبـرنى سيـدى على الخواصى رضى الله عنه أن السـيدة عـائشة رضى الله عنها ابنة جعفر الصادق فى المسجد الذى له المنارة القصيرة على يسار من يريد الخروج من الرميلة إلى باب القرافـة، وهى السيدة عـائشة بنت جعـفر الصـادق بن محـمد الباقـر بن على زين العابديـن، وقال المناوى: ماتت سنة خمس وأربعين ومائة.."

يصف على باشا مـبارك مئـذنة المسجد بأنهـا قصيـرة، ولكنها الآن شامـخة، شاهقة، بعد إعادة بنائها فى سبعينيات القرن العشرين. المسجد الذى يصفه على باشا مبـارك شيده الأمير عبـد الرحمن كتخدا سنة سبـعين ومائة وألف هجرية، (اثنان وستين وسـبعـمائة وألف مـيلادية) أى بعد ألف سنة من وفـاتها تقـريباً. ويعد الأمـير عـبد الرحمن كـتخـدا من أعظم البنائين الذين عرفـهتم مـصر فى







العصر العثماني، وكان صاحب ذوق رفيع في تنفيذ المنشآت المعمارية الجميلة، وكان له اهتمام خاص بمراقد آل البيت، جدد المسجد الحسيني، والمشهد الزينبي، ومسجدي السيدة سكينة، والسيدة نفيسة، ومشهد السيدة عائشة.

المسجد الذي بناه الأمير عبد الرحمن كتخدا، كان صغيراً بالقياس إلى مانراه الآن، وعندما كتب المرحوم حسن عبد الوهاب عالم الآثار المصرية الكبير مؤلفه القيم عن مساجد مصر، وصف مسجد السيدة عائشة:

ولهذا المسجد وجهة غربية اشتملت على بابين تقوم بينهما المنارة، والباقي منها دورتها الأولى. وقد كُتب على عتب الباب البحري مانصه:

مسجدَ أسسه التقى فتراه

كبدور تهدى بها الأبرار

وعباد الرحمن قد أرّخوه

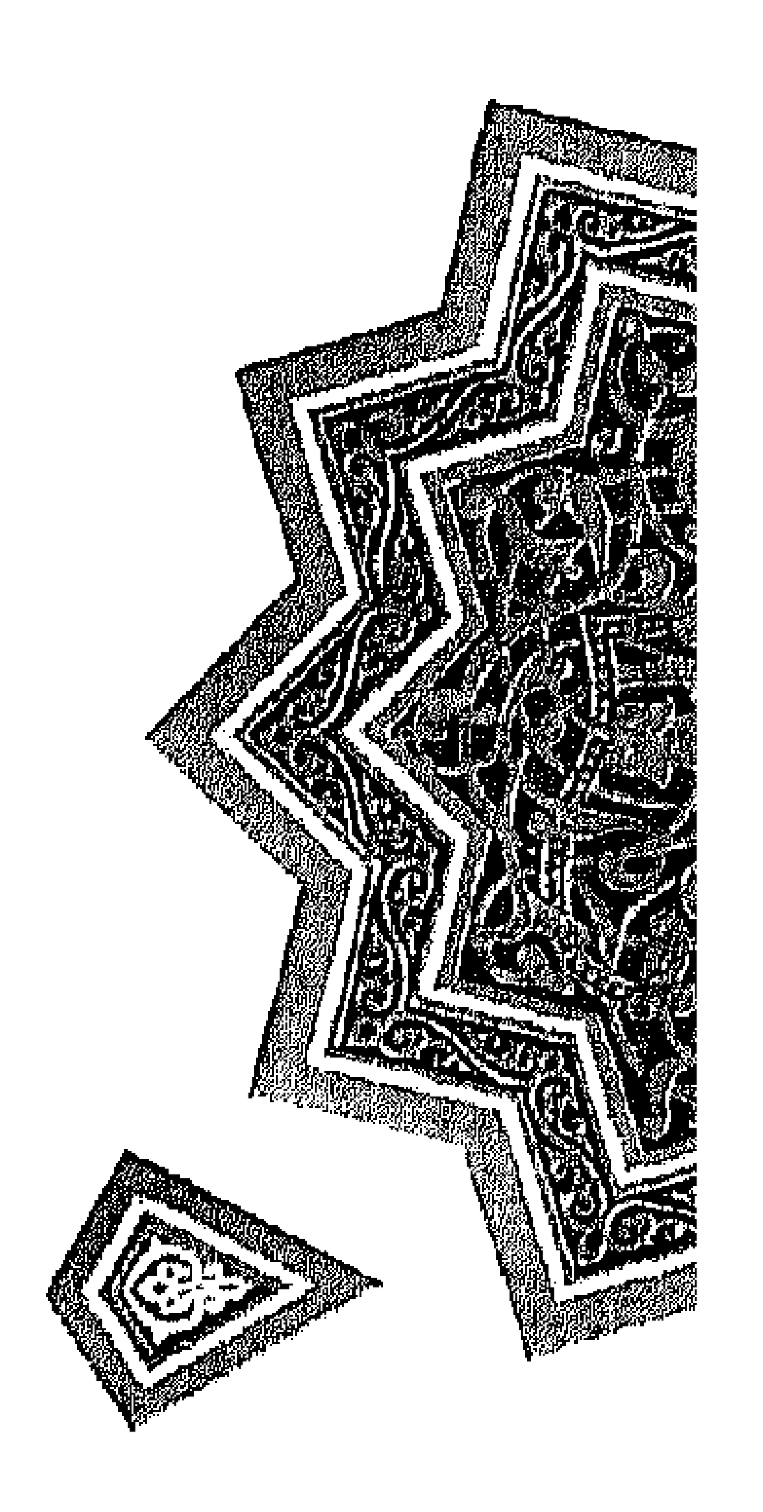
تتلألأ بحبه الأنوار

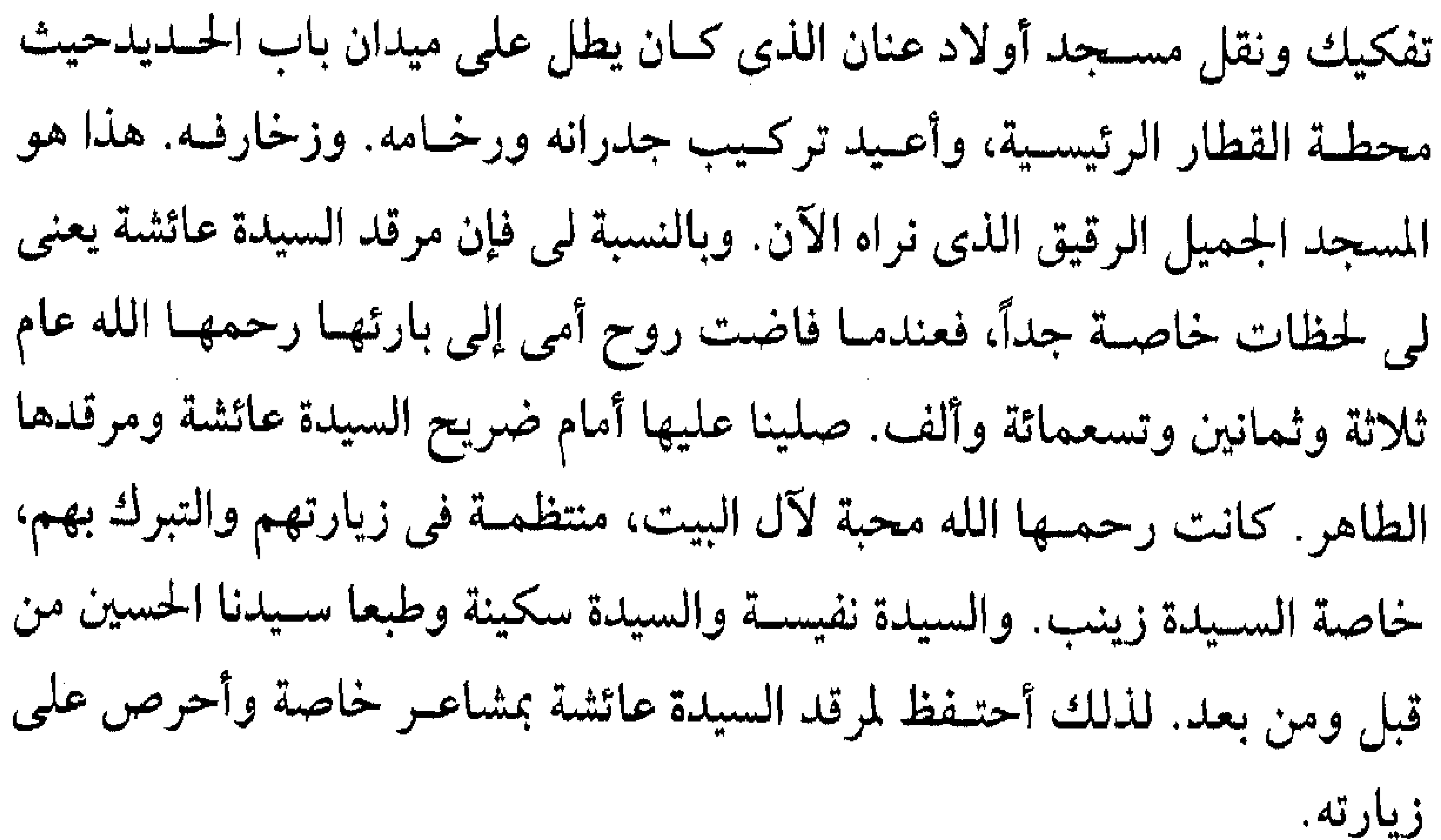
وهذا الباب يوصل إلى داخل المسجد، وقد عُمِّر سنة أربعة عشر وثلاثمائة وألف هجرية، ستة وتسعين وثمانمائة وألف ميلادية، أما الباب الثاني فهو يؤدي إلى طُرقة على يسارها باب له عقد تحيط به كرانيش متعرّجة يؤدي إلى المسجد. وباب القبة مكتوب عليه:

لعائشة نور مضيىء وبهجة

وقبتها فيها الدعاء يجاب

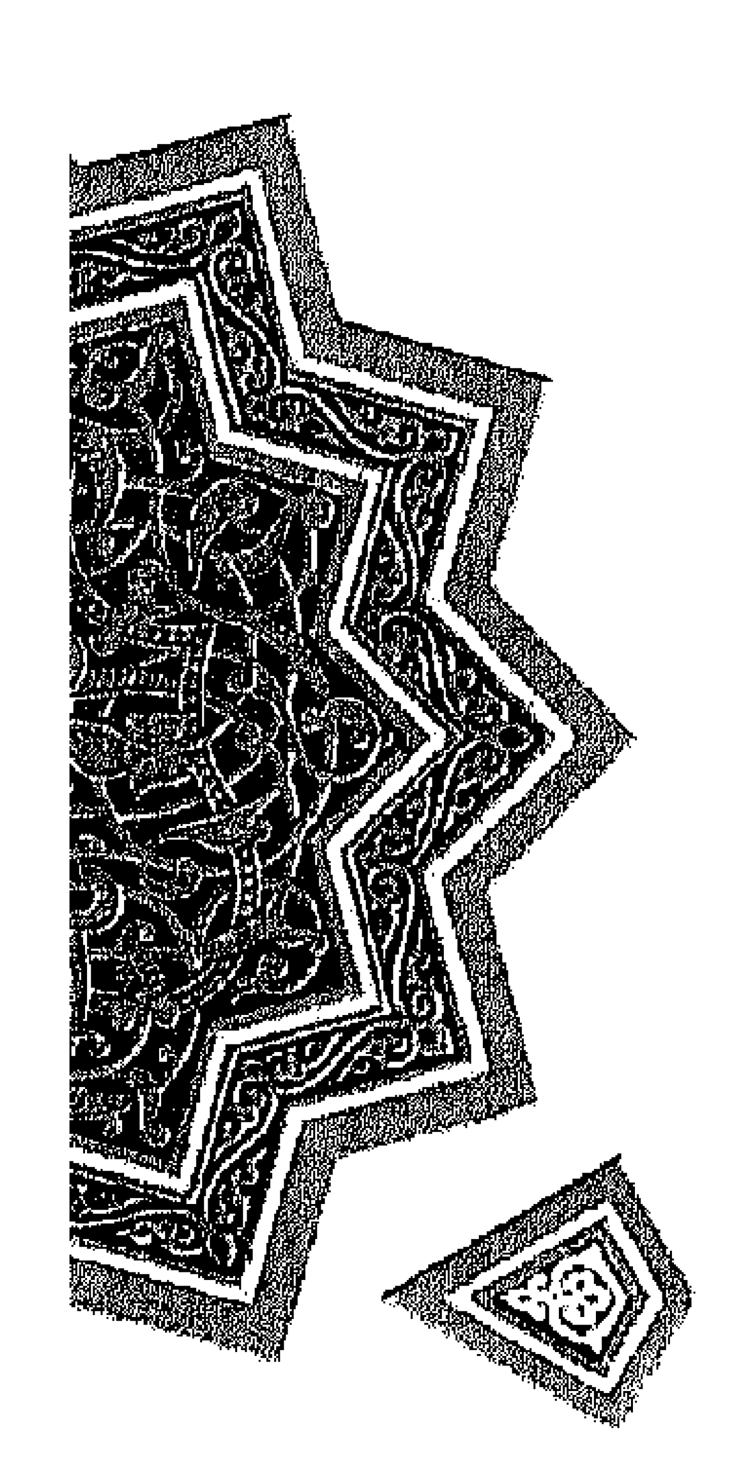
والقبة يصفها العلامة حسن عبد الوهاب بأنها من القباب البسيطة، فرشت أرضيتها بالرخام الملون وتتوسطها مقصورة خشبية حول القبر الشريف. لكن المسجد منذ سبعينات القرن العشرين، أصبح أكثر اتساعاً، وأجمل. فقد تم





تفكيك ونقل مسجد أولاد عنان الذى كان يطل على ميدان باب الحديدحيث محطة القطار الرئيسية، وأعيد تركيب جدرانه ورخامه. وزخارفه. هذا هو المسجد الجميل الرقيق الذى نراه الآن. وبالنسبة لى فإن مرقد السيدة عائشة يعنى لى لحظات خاصة جداً، فعندما فاضت روح أمى إلى بارئها رحمها الله عام ثلاثة وثمانين وتسعمائة وألف. صلينا عليها أمام ضريح السيدة عائشة ومرقدها الطاهر. كانت رحمها الله محبة لآل البيت، منتظمة فى زيارتهم والتبرك بهم، خاصة السيدة زينب. والسيدة نفيسة والسيدة سكينة وطبعا سيدنا الحسين من قبل ومن بعد. لذلك أحتفظ لمرقد السيدة عائشة بمشاعر خاصة وأحرص على زيارته.

نخرج من مسجد السيدة عائشة لنمضى سيراً على الأقدام إلى شارع الأشرف مرة أخرى لنتوقف أمام مرقد **السيدة رقية**، إنها السيدة رقية بنت

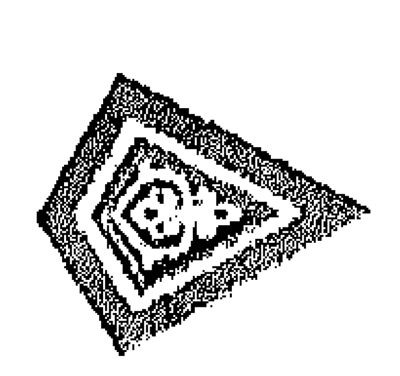




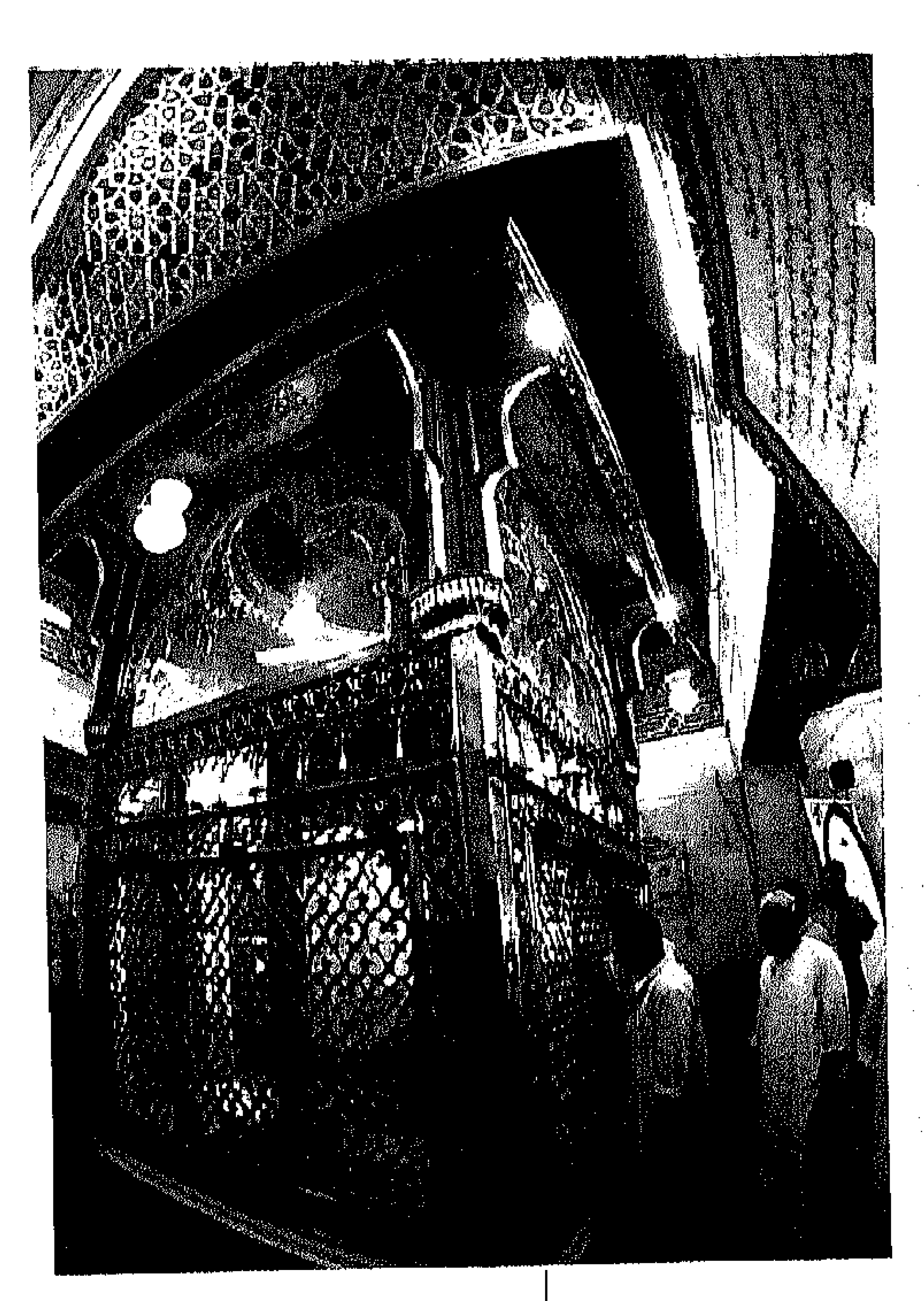
الرسول صلى الله عليه وسلم من زوجته خديجة، تصغر أختها السيدة زينب بثلاث سنين، تزوجت بعثمان ابن عفان، هاجر بها إلى الحبشة، ولدت له ابنهما عبد الله وبه يكنى عاش الطفل ستة أعوام، ثم نقر ديك عينه فتورمت ومات فى جمادى الأولى سنة أربع هجرية. لما عادا من الحبشة إلى مكة هاجرا إلى المدينة، وتوفيت السيدة رقية بعد مرضها بالحصبة ودفنت بالمدينة.

اذن.. كيف جاءت إلى مصر؟ كيف أُقيم لها مرقد؟

عرفت مصر وعرف العالم الاسلامى ما يعرف باسم مشاهد الرؤيا. ويقام عادة عندما يرى أحد الصالحين رؤيا يأمره فيها أحد الراحلين الكرام بإقامة ضريح له فى مكان معين فيفعل وقد تلاقى ذلك فى مصر مع معتقد قديم بمقتضاه كان يتم بناء قبر رمزى فى مكان غير المكان المدفون فيه الجثمان، لذلك كان يقضى ملوك مصر القديمة بدفنهم فى سقارة ويقام لهم أضرحة رمزية فى أبيدوس.



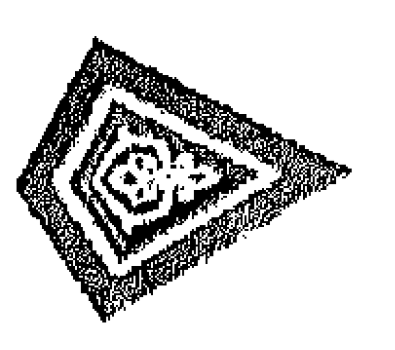


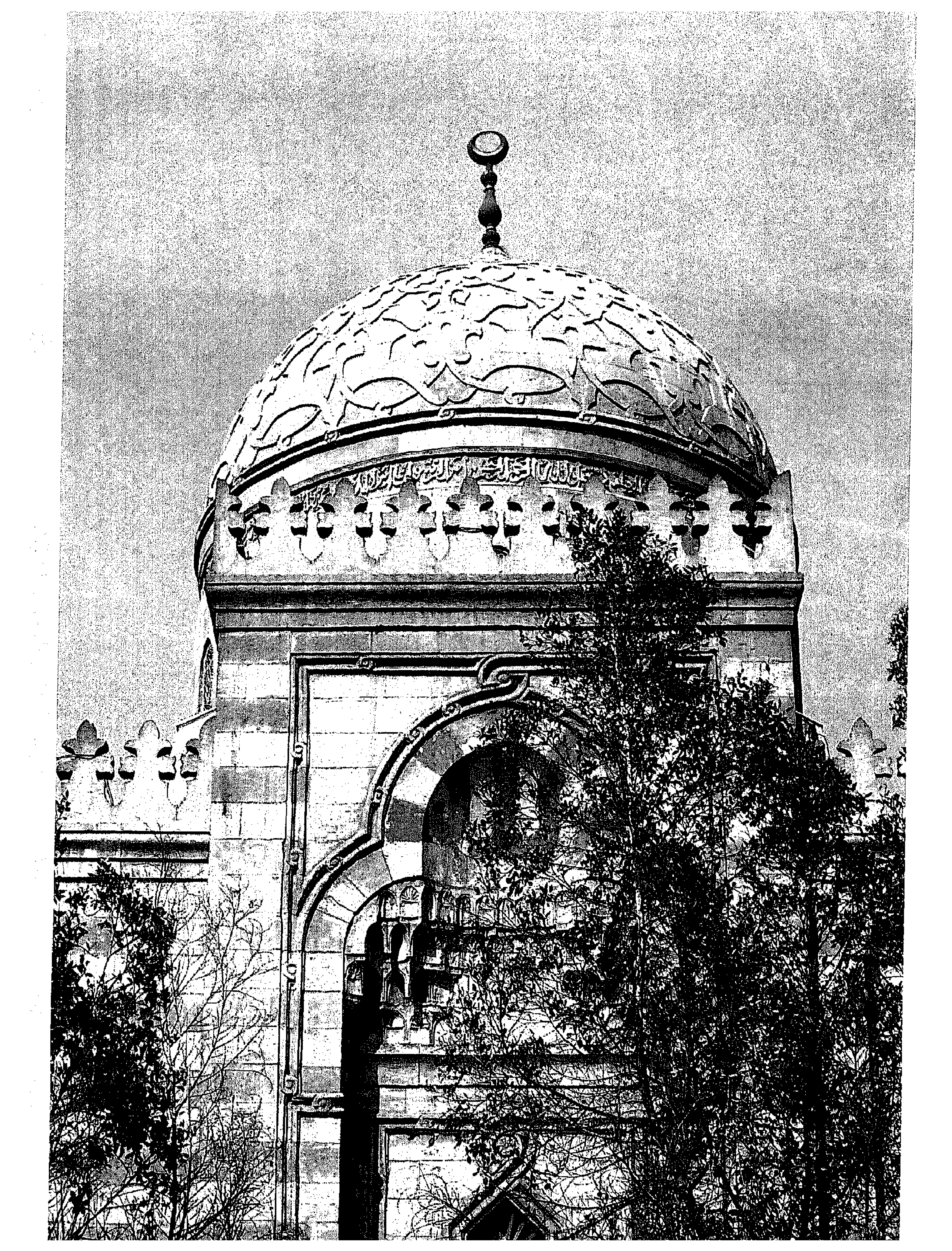


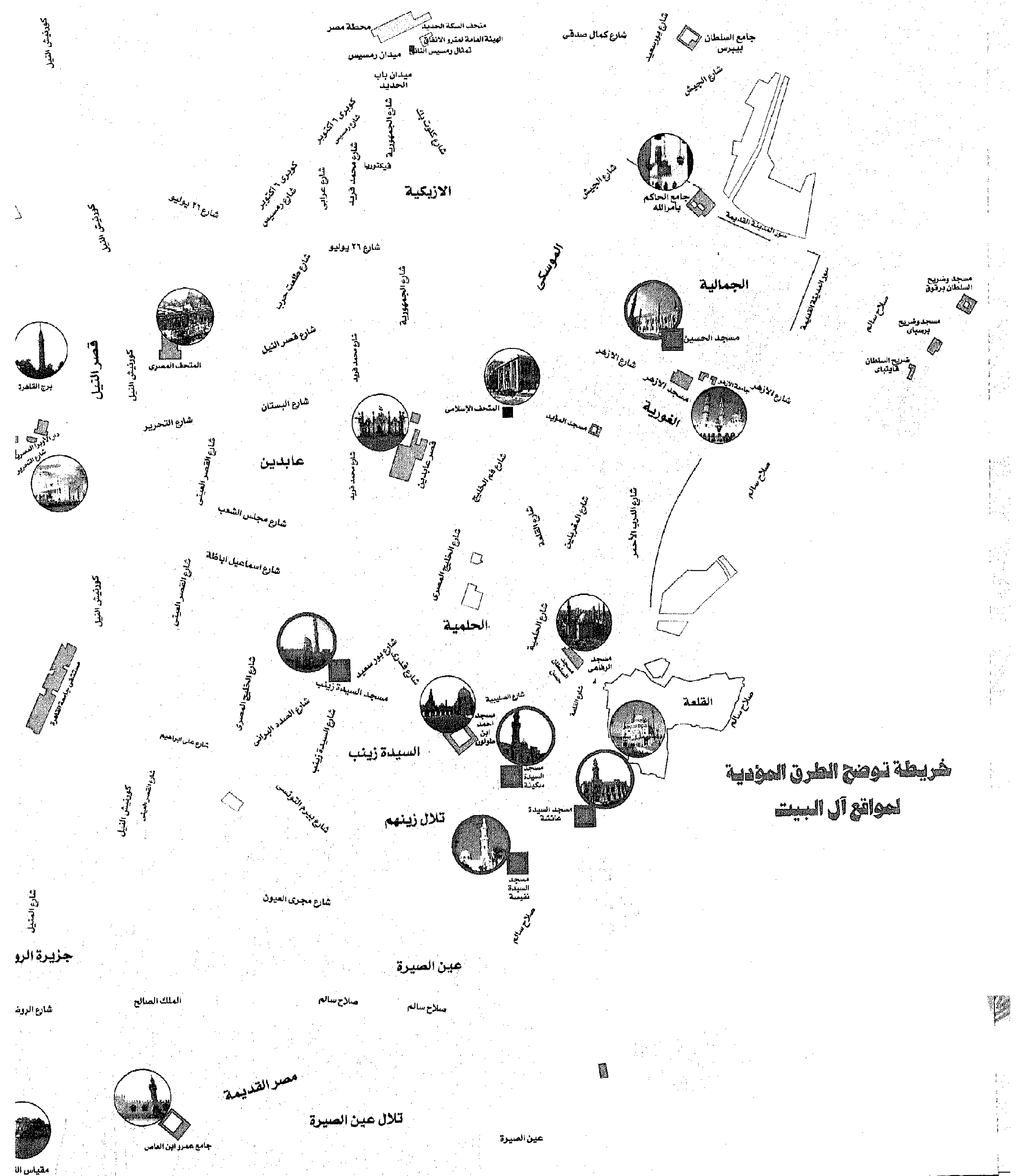
ليس أدل على تعلق المصريين بآل البيت من مشهد السيدة رقية المدفونة فى المدينة المنورة. ولكن المصريين أقاموا لها هذا المرقد المهيب. وتبدو القبة المقامة فوق الضريح مهيبة، جليلة شاهقة. أما المحراب فلا مثيل له فى مساجد مصر، ويعتبر تحفةً فنيةً رائعةً يقصدها المهتمون بالفن الإسلامى من العالم كله، ولاَ يخلو كتاب يتناول الفن الاسلامى من صوِرة له. تبلغ سعته ثلاثة أمتار وعُمقه متراً وعشرين سنتيمترا، وارتفاعه ستة أمتار. تعلوه طاقية على شكل محارة مفصصة يتوسطها جامة تحتوى على اسم "على" يحيط به اسم "محمد" سبع مرات، ويحيط بعقد المحراب صفان من الفصوص، الداخلى يحتوى على اثنى عشر صفاً والخارجى أكبر ويحتوى على تسعة فصوص، ويحيط بتجويف المحراب مستطيل زخرف خواصر عقد المحراب برسوم نباتية تتوسطها دائرة وشريط به كتابة كوفية.

وتذكر الدكتورة سعاد ماهر نقلا عن العلامة الانجليزى كريزويل أن المشهد شيد عام سبعة وعشرين وخمسمائة هجرية، واكتشف كريزويل كتابة قرآنية أيضا إلى جوار التاريخ. حروف جميلة زرقاء على أرضية بيضاء تعتبر أقدم كتابة عربية بمصر نراها حتى الآن.

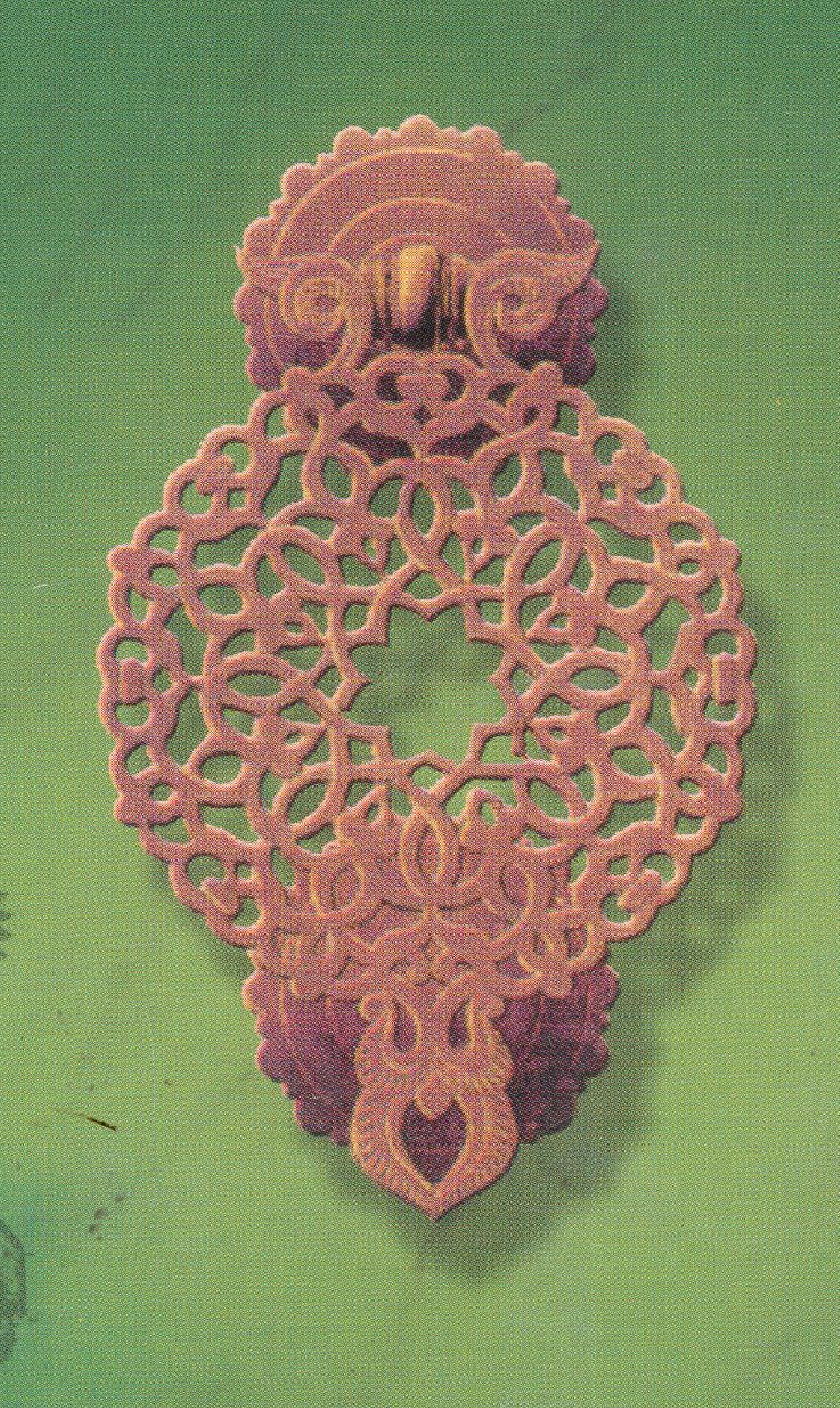


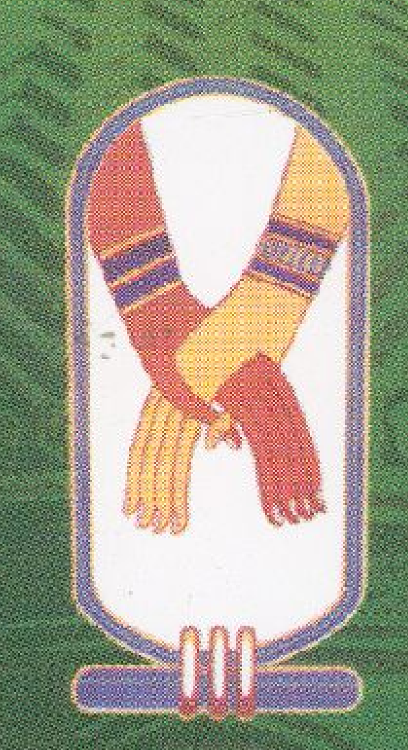






خريطة توضح الطرق المؤدية
لمواقع آل البيت
محطة مصر
متحف السكة الحديد
الهيئة العامة لمترو الانفاق
تمثال رمسيس الثاني
ميدان رمسيس
ميدان باب الحديد
شارع كمال صدقي
شارع بورسعيد
جامع السلطان بيبرس
شارع الجيش
جامع الحاكم بأمر الله
سور المدينة القديمة
الأزبكية
فيكتوريا
شارع الجمهورية
شارع كلوت بك
شارع محمد فريد
شارع عرابي
شارع رمسيس
كوبري ٦ أكتوبر
شارع ٢٦ يوليو
كورنيش النيل
شارع طلعت حرب
الموسكي
الجمالية
مسجد الحسين
مسجد وضريح السلطان برقوق
مسجد وضريح برسباي
ضريح السلطان قايتباي
صلاح سالم
شارع الأزهر
جامع الأزهر
مسجد الأزهر
الغورية
المتحف الإسلامي
مسجد المؤيد
المتحف المصري
برج القاهرة
قصر النيل
شارع قصر النيل
شارع البستان
شارع التحرير
دار الأوبرا المصرية
عابدين
قصر عابدين
شارع القصر العيني
شارع مجلس الشعب
شارع اسماعيل اباظة
شارع الخليج المصري
شارع الدرب الأحمر
شارع القلعة
الحلمية
شارع الحلمية
مسجد الرفاعي
مسجد السلطان حسن
مسجد السيدة زينب
شارع بور سعيد
شارع الصليبة
مسجد أحمد ابن طولون
مسجد السيدة سكينة
مسجد السيدة عائشة
القلعة
السيدة زينب
شارع السيدة زينب
شارع علي ابراهيم
مستشفى جامعة القاهرة
تلال زينهم
شارع بيرم التونسي
مسجد السيدة نفيسة
شارع مجرى العيون
عين الصيرة
جزيرة الرو
الملك الصالح
شارع الروضة
مصر القديمة
تلال عين الصيرة
جامع عمرو ابن العاص
مقياس ال





وزارة السياحة